جيوبوليتيكية نقمة المكان

كردستان نموذجا

دراسة في الجغرافيا السياسية

تأليف

دكتور / محمد عبد السلام

جيوبولتيكية نقمة المكان

(كردستان نموذجا)

دراسة في الجغرافيا السياسية

تأليف دكتور

محمد عبد السلام

اهداء

إلى العراق أرضا وشعبا

بسم الله الرحمن الرحيم

"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى

وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم

عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"

(الحجرات ١٣)

الفهرس

الموضوع الصفحة

أولا: **كردستان الكبرى ونقمة المكان** ٦- ١٣

ثانيا: **المكان والقوة** ١٣-١٤

ثالثا: **نقمة المكان والحرب** ١٤-٢٨

رابعا: **اقليم كردستان العراق وريث النقمة** ٢٨-٦٠

١- حدوده ٢٨-٣٥

٢- الموقع الجغرافي ٣٥-٣٧

٣- موقع كردستان حسب النظريات الجيوبوليتيكية ٣٧-٤٠

٤- المساحة ٤٠- ٤٢

٥- الشكل ٤٢- ٤٤

٦- البنية الجيولوجية ٤٤- ٤٩

٧- مظاهر السطح ٤٩- ٥٦

٨- المناخ ٥٦- ٥٧

٩- موارد المياه ٥٨- ٦٠

المراجع ٦١-٦٥

أولا: كردستان الكبرى ونقمة المكان:

يحظى المكان، وموقعه، في الدراسات الجغرافية باهتمام خاص ومتميز، لما له دوره البارز في التحليلات الجغرافية في إظهار نتائج وتبعات ذلك الموقع، من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والسلوكية والجيوبولتيكية، وبيان اثرها على مصير سكانه ومستقبلهم السياسي، سواء أكان ذلك المكان، إقليما، أو دولة، أو قارة بأكملها. وقد تمتع مكان كوردستان وموقعها الجغرافي، عبر التاريخ، بقيمة جيوستراتيجية و جيوبولتيكية كبيرة للاعتبارات التالية:

١- موقعها الجغرافي الخطير الذي جعل من جغرافيتها التاريخية مسرحا جيوبولتيكيا لتقرير نتائج ومصير العديد من المعارك الإمبراطورية، للعديد من الأمم الغازية "لوقوعها عند حافات تلك الإمبراطوريات وفي ملتقى طرق الحضارات" (Cart Dahlman, 2002, P.271)، مشكلة بذلك جسرا يربط هضبة الأناضول بهضبة إيران والذي انتقلت عبره حضارات الشرق والغرب" (General Staff, 1920, P.1). وكما يقول البروفسور سولكي: إذا كان الشرق الأوسط هو ملتقى تلك الطرق العالمية فان كوردستان هي قلب ذلك الشرق الأوسط". من هنا تنبع مطامع الحكومات والدول المجاورة واهتماماتها بارض كوردستان وجبالها وثرواتها، فهي حلقة الوصل الجغرافية الرابطة ما بين اواسط آسيا، وجنوب غربها من ناحية، وما بين قارات العالم القديم من ناحية ثانية.

كما انها تشكل الفسحة القارية التي تملا معظم الامتدادات الجغرافية الواصلة ما بين أربعة مسطحات مائية هي: بحر قزوين والأسود والمتوسط والخليج العربي، لذا فأن هذا الامتداد الجيوستراتيجي لهذه البلاد هو الذي يفسر اهتمام الإمبراطوريات

القديمة والقوى المعاصرة بكوردستان، مثل روسيا القيصرية ثم الاتحاد السوفيتي ومن بعدهما كل من الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية.

٢- مساحة كوردستان التي تقدر بـــ (٥٠٠,٠٠٠) كيلومترا مربعا، والتي تعتبر من الحجوم الكبيرة في مقاسات الدول حسب تصنيفات الجغرافية السياسية. تغطي معظم هذه المساحة سلاسل جبال زاجروس وانتي طوروس البالغ طولها في كوردستان حوالي ١٩٠٠كم والممتدة من مشارف خليج الاسكندرونة غربا وحتي الزاوية الشمالية الشرقية للخليج العربي مشكلة إحدى دعائم القوة لهذه البلاد من الناحيتين الدفاعية والاقتصادية نظرا لامتدادها الجبلي المحيطي الواسع، إضافة إلى كونها كانت منذ العصور التاريخية، ولا تزال، (الوطن القومي للأمة الكردية)، و (موطن الكورد الأول) (دانا ادم شمدت، بدون، ص٣٤٢).

وفي الجغرافية السياسية، تحظي المساحة الكبيرة، باهتمام خاص عند حساب عناصر القوة الجغرافية الكامنة لأي إقليم أو دولة، لاعتبار ان اي بقعة منها يمكن أن تحتوي مستقبلا على موارد طبيعية غير مكتشفة، كما هو حال بترول كوردستان في العصر الحديث. لقد اثبتت التجارب التاريخية، كما يؤكد جمال حمدان، أن لكل شبر من الأرض قيمة سياسية، منظورة وغير منظورة، كامنة أو كائنة، فمنطق المساحة عمق استراتيجي هام وحاسم وشرط للحماية (جمال حمدان، ١٩٦٦، ص ٣٤٢). **وبالتالي فان اكتشاف النفط في كوردستان في أوائل القرن الماضي منح هذه الأرض وموقعها ومساحتها قيمة وعنصر قوة إضافيين.**

٣- اهميتها الاستراتيجية المتحكمة بقلب الشرق الأوسط، وممراتها ومفاتيح اجتيازها، التي كانت في نظر الغزاة عقدة ارضية تقف حائلا دون انجاز مطامعهم التوسعية شرقا وغربا، مغولا كانوا ام تتار، بيزنطيين أو اتراك او عرب. يقول بافيج: "أن مطامع الدول المختلفة بكوردستان نابع اولا من أهمية موقعها الاستراتيجي كمنطقة دفاعية بالنسبة لإقليم الأناضول وبلاد ما بين النهرين وإيران" (بافيج، ١٩٧٨، ص ١٢)، **وهي ايضا دفاعية ومن طراز خاص بالنسبة للكورد انفسهم، فالمساحة الكبيرة وطبيعتها الجبلية وشعبها الجسور منح قيمة إضافية لأهمية جبال كوردستان الاستراتيجية عبر كل مراحل التاريخ القديم والوسيط والمعاصر على حد سواء. لذا تقول ماريا بحق فيما يخص الأهمية الاستراتيجية لكوردستان آن موقع كوردستان شكل تاريخها، وحدد أهميتها الإقليمية والعالمية، وهو العامل الأساسي في فشلها في الحصول على الاعتراف الدولي بهويتها كدولة"، ولعل ابرز قول في الأهمية الاستراتيجية لكوردستان، كإقليم متميز داخل الحيز الجغرافي المنطقة الشرق الأوسط، ودور جبالها في حماية الشعب الكوردي واستقلاليتها الحضارية والثقافية، هو قول، الميجر بورتن: "آن جميع الإمبراطوريات الكبرى التي برزت وسقطت من حولهم، وكل الغزاة الذين عبروا من وطنهم من الشرق إلى الغرب وبالعكس، فشلوا جميعهم في ترويض الكورد وفرض ثقافتهم عليهم، فكل من الأشوريين والإغريق والرومان والبارثيين والفرس والعرب والمغول والترك جربوا ذلك وفشلوا في إخضاع هذا الشعب الجبلي"** (Major Burton, 1944, P.72).

٤- وظيفتها الجيوبولتيكية البينية العازلة، كسلاسل جبلية متصلة بشكل قوس محيطي كبير، بين اعراق مختلفة، كالهندواوربية،

الطورانية، والسامية. من جهة، وبين حضارات وثقافات مختلفة ايضا، كالتركية، والفارسية، والعربية من جهة ثانية، وبين اقاليم بيئية متباينة كهضبة إيران وصحاريها الداخلية، وهضبة الأناضول شبه الجافة، وبوادي العرب القاحلة. لذا فان بيئة كوردستان الرطبة وشبه الرطبة، ومناخها البحر متوسطي، وغناها النباتي، والحيواني والزراعي، وامتدادها بين بيئتين فقيرتين طاردتين للسكان، شكلت إقليما أكثر إغراء للقوى الكبرى.

وكما يقول البروفسور رايت، أستاذ الجيولوجيا في جامعة منسوتا الأمريكية، حول الوظيفة الجغرافية لكوردستان: "أن هذه الجبال تفصل سهول ما بين النهرين عن هضاب إيران والأنضول، وتقسم جنوب غرب آسيا جيولوجيا، وفيزيوكرافيا، ومناخيا، وثقافيا، كما خدمت كحاجز مؤثر بوجه التدخل الثقافي بين شعوب ما بين النهرين وشعوب داخل تلك الهضاب، وإنها تشكل مراع خصبة مغرية للرحل واشباه الرحل، سكان الأراضي الواطئة المحيطة بها، وفي الوقت نفسه أمنت لسكانها الكورد الجبليين معاقل حماية آمنة" (H. E. Wright, 1961, P.136)، **وبسبب هذه الوظيفة الجغرافية العازلة لكوردستان، وامتدادها الشاسع، من خليج الاسكندرونة الى الخليج طولا، ومن جبال ارارات إلى جبال حمرين عرضا، وللموقع البيني الذي تتمتع به، فقد أصبحت كوردستان، كما تقول ماريا اوشيا: "بموقعها المحيطي هذا تؤدي وظيفة الإقليم أو المنطقة العازلة Buffer Zone من الناحية الجيوبولتيكية لأنها تحتل موقع التماس بين اقاليم العديد من الحضارات والأجناس"** (Marsh, 1869, P.110).

ومن قوانين الوظيفة العازلة في الجغرافية السياسية هي أنها في الغالب، كما تقول مس سامبل، "تتولد منها دولة حاجزة" (Ellen

(Churchill Semple, 1911, P.440. ويمكن أن تكون جبال كوردستان كذلك . نقمة المكان الجغرافي: كانت ايجابيات جغرافية هذه الجبال بكل تفاصيلها، عظيمة تجاه الشعب الكوردي في حمايته من الفناء، وفي عزلته الجغرافية، ومحافظته على حضارته وثقافته ولغته الخاصة، وعلى نقاء سماته الأنثروبولوجية، ومحافظته لفترة أطول على خصائص الأصول الهندو- اوربية للأمة الكوردية، لكنها كانت في نفس الوقت ذات سلبيات شكلت نقمة جغرافية) عليه، فنوعت لهجاته، ونمت لدى أبنائه الروح الإقليمية والعشائرية، وحرمتهم من الوحدة السياسية، وتأسيس كيانهم السياسي المستقل، وحولت بلادهم الى ساحة للصراعات الدولية والإقليمية، فتعدد المصطرعين على بلادهم، محولين إياها إلى ميادين القتال الدامي، وملحقين بها الدمار الشامل لمرات عديدة. يقول مارك ميجر: "ان جبال كوردستان كانت رحمة ونقمة على الكورد في تاريخهم الطويل ولعدة فترات، فالجبال المقفلة قدمت لهم الحماية من السيطرة الأجنبية، ووفرت لهم الملاجئ الآمنة للانطلاق في حروب العصابات، كما ان موقع الجبال المركزي (بالنسبة للشرق الأوسط) جعل من كوردستان ممرا للتجارة الخارجية التي استفاد الكورد منها. ومن ناحية اخرى ساهمت هذه الجبال في عزل الكورد عن بعضهم، وعرقلت تطور وحدتهم الحضارية والثقافية واعاقت تأسيس دولة كبيرة لهم. كما ان موقعها جعل منها منطقة إنذار بالغ الأهمية لإمبراطوريات متنافسة عديدة منها الإمبراطوريتين الرومانية والعثمانية، لكن حرمان كوردستان من السواحل البحرية جعل منها بلادا منسية في عالم التجارة البحرية المدة ٥٠٠ عام الماضية لاعتبار أن الطرق البحرية اصبحت واسطة رئيسة للتجارة الإقليمية والعالمية" (Mark R. Major, 1996, P.21).

من استقراء إحداث التاريخ الكوردي، العسكري والسياسي، تؤكد لنا حقائق الجغرافية التاريخية والسياسية أن مكان كوردستان لازال يشكل حيزا جغرافيا يتمتع بقيمه جيوستراتيجية كبيرة وهامة في صراعات المنطقة، كما كان كذلك فيما يتعلق بالصراعات والحروب الكلاسيكية للقوى الإمبراطورية عبر التاريخ. لذا فان جبال كوردستان احتفظت بنفس الأهمية الجيوستراتيجية في العصور القديمة والوسطى والمعاصرة على حد سواء وهذه السمة، جعلت من بلاد الكورد أن تكون، هدفا مغريا، وعامل جذب لأطماع القوى الكبرى المجاورة والبعيدة، على حد سواء، مما عرضها على مر العصور لغزواتها وهجماتهم المدمرة والتي ساهمت في زيادة تخلفها وفقرها وفي تعدد ولاءات قبائلها، ومن ثم تجزئتها واحتلالها. ومع أن كوردستان جغرافيا، كبلاد جبلية صخرية، توصف بكونها بيئة محدودة الإنتاجية، وكما تصف "المس سامبل" البيئية الجبلية بكونها بيئة غير مضيافة (Inhospitable highland) نسبيا، فان موقع كوردستان وجبالها البيني، والذي سبق ذكره، كان يشكل حتما جغرافيا يجبر الغزاة على المرور عبر ممرات ومسالك جبالها، أو اختراقها، للوصول الى الجانب الآخر، لأنها أصبحت وكأنها منطقة عبور، ترانزيت، وكما تقول المس سامبل "أن وظيفة الجبال اشبه بوظيفة البحار والصحارى أنها منطقة ترانزيت وعلى الإنسان أن يخترقها بسرعة"، وهذا ما يمكن أن نسميه ب(حساسية المكان الجغرافي وإغراءاته) لكل أولئك الغزاة، مع ان أي منهم لم يفلح في تهجير سكانها الكورد، أو تغيير هوية بلادهم الاثنية، أو سماتهم الحضارية، رغم مرور جيوشهم الجرارة عبر ممرات هذه البلاد.

٥- ان الأهمية الجغرافية الكبرى لمكان كوردستان من النواحي العسكرية والاقتصادية جعلت من هذه البلاد مسرحا لمعارك كبيرة لجيوش أجنبية، في عهود بربرية القوة الشاملة، التي لا تعترف سوى بقوة السيف لتقرير النتيجة النهائية للحرب، لذا فان كوردستان اصبحت حينذاك ساحة معارك لتقرير المصير الجيوبولتيكي للقوى المتصارعة والعابرة لجبال كوردستان، أي إنها تحولت الى ساحة صراع لتقرير المصير، أو كما تسمى في الجيوبولتيكس، الى منطقة ارتطام (ensh Zone) بين الجيوش المتصارعة فوق ترابها. صحيح أن جغرافية جبال كوردستان كانت لها منافع على الشعب الكوردي، من ملاذ آمن، واقتصاد ذو اكتفاء ذاتي، والمحافظة عليه من مخاطر الإبادة لتلك الغزوات والهجمات المدمرة، لكن هذه المنافع اثارت عليه نقمة وحسد الشعوب الأخرى القريبة والبعيدة معا، وهذا هو قدر الجغرافية الذي كان على الشعب الكوردي أن يتحمل نتائجه.

٦- لقد تحمل الشعب الكوردي الكثير من مآسي تلك الغزوات، سواء أكان مقاوما لها، او واقفا منها موقف الحياد، او أرغم على مواجهتها. فقد تعرضت قراه ومدنه وحقوله ومزارعه وثرواته الحيوانية للنهب والسلب والتدمير، كما تعرض هو نفسه للكثير من اعمال السخرة والاضطهاد والقتل الجماعي والتهجير القسري لقبائله بالجملة الى خارج كوردستان، فالغزاة لم يأبهوا بسكان المناطق التي تجتاحها جيوشهم، بقدر ما كانت تهمهم المكاسب العسكرية، وضم الأراضي، وتأسيس الإمبراطوريات، وتلك كانت تبعات التاريخ التي كان على الشعب الكوردي أن يتحمل نتائجها هي الأخرى، مرغما.

٧- وبسبب القدر الجغرافي وتبعاته التاريخية المشار إليها آنفا، وانعدام سلطة كوردية مركزية في كوردستان الموحدة، تحولت ارض

كوردستان الى ساحة تتصارع فوقها جيوش الإمبراطوريات المختلفة، فصبت الجغرافية، سياسيا وعسكريا واقتصاديا، نقمتها الجيوبولتيكية على الأمة الكوردية وبلادها بما نسميه ب(جيوبولتيكية نقمة المكان)، لأن الكورد في النتيجة تحملوا، هم وحدهم، تبعات موقع بلادهم البيني والاستراتيجي بكل خصائص المكان الجغرافية، كإقليم متميز، دفاعيا واقتصاديا وبشريا، وسط اقاليم وبيئات فقيرة وحتم عليهم هذا الموقع الخطير والمتميز لبلادهم أن يدفعوا ضريبة هذا المكان)، الذي حدد مصيرهم السياسي، وتبعية بلادهم الإدارية السياسية وفقا لنتائج كل معركة كانت تدور بين المتصارعين من الغزاة.

ثانيا: المكان والقوة

من مجمل ما تقدم لخصائص مكان كوردستان، وموقعها الجغرافي، يمكن التعميم بان اهميتها الجيوستراتيجية والتعبوية، وطرق إمداداتها جعلتها، في الجغرافية الكلاسيكية والحديثة لقارة اسيا ، واحدة من أهم الأقاليم الجبلية الضامنة للنصر والسيطرة لأية قوة، كبيرة ومنظمة، غازية لغرب اسيا، أن توفرت لديها إحدى هذه الفرضيات الجيوبولتيكية و الجيوستراتيجية:

١- ضمان قوة ضاربة منظمة تتمكن من اختراق الممرات الاستراتيجية لجبال كوردستان والتحكم بمفاتيح طرقها الشرقية والغربية، وتحويل هذه الجبال بسماتها الدفاعية ظهرا، من اجل التوسع والاندفاع نحو الجانب الآخر من كتلتها الجبلية.

٢- جر العدو الى معارك مصيرية في حافات نطاق هذه الجبال، وفي مواقع مختارة، لضمان النصر، أو إلحاق الهزيمة النهائية بقواتها

٣- ان استحال تنفيذ الفرضيتين (١) و (٢) فأن جيوبولتيكية التمركز، أو احتلال نصف هذه المنطقة الجبلية، في الأقل، يجعل (توازن القوى) ممكنا بين القوتين الغازيتين، لأن السمة الدفاعية والأمنية والاقتصادية لهذه الجبال ستكون ممنوحة مناصفة لكل طرف.

٤- أن تعذر تحقيق (١) و (٢) و (٣) فان الحل الجيوبولتيكي يفرض على احد الطرفين أن يتبنى اختيار تكتيك المعركة المصيرية في احد المواقع الجغرافية لهذه الجبال، أو في احد ممراتها الاستراتيجية او احد مواقعها الهامشية وضمان الانتصار على الطرف الأخر في معركة حاسمة وفرض الأمر الواقع عليه.

ثالثا: نقمة المكان والحرب:

١- من عام ٦١٢ ق.م وحتى عام ١٥١٤م (اى عبر ٢١٢٦سنة) لا نعتقد بأن وطنا زحفت عليه جيوش غازية، وعابرة، ومحتلة، ومدمرة في التاريخ القديم والوسيط والحديث، مثلما عانت ارض كوردستان من ويلات هذه الجيوش وصراعاتها القاسية لكل تلك الفترة الطويلة من الزمن.

٢- كانت لبعض تلك الغزوات آثار خطيرة، محليا، وإقليميا وعالميا. فقد قتلت تلك الحروب، التي دارت رحالها فوق ارض كوردستان، عشرات الآلاف من البشر، وغيرت نتائج معاركها معالم بعض الأقاليم الاثنية والديموغرافية، وقضت على حكومات وخلفت إمبراطوريات، لأن تلك الغزوات لم تكن لتلتزم بأي شيء من تقاليد الرأفة او الشفقة أو الرحمة حتى على سكانها المحليين، بل كانت تهتم، فقط، باستراتيجية كسب الأرض والغنائم المادية والفتوحات العسكرية وتأسيس الإمبراطوريات لذا فان ارض كوردستان كانت تبعا لذلك

ساحة لتلك المعارك المصيرية التي خاضتها جيوش تلك القوى الأجنبية المتصارعة والمتنافسة التي غيرت بعض غزواتها، تاريخ المنطقة لفترة غير قصيرة من الزمن، لكنها في كل الأحوال لم تستطيع تغيير معالم كوردستان الاثنية، كوطن قومي للشعب الكوردي، مع أن اوطانا اخرى تغيرت سماتها الاثنية بسبب الهجرات البشرية التي تسببت بها تلك الحروب.

٣- لقد فرضت جغرافية المكان على الأمة الكوردية أن تواجه أو أن تتحمل، مرغمة، ما آلت إليه نقمة هذه الجغرافية من ويلات على بلادها جراء تلك الهجمات والغزوات الدامية سواء أكانت آتية من الشرق: من اسيا الوسطى، أو من الغرب: من اليونان او ارض العرب. فالغزاة الأتون من الشرق (الفرس، المغول، التتار، والتركمان)، كان عليهم أن يجتازوا جبال كوردستان واحتوائها قبل أن يتمكنوا من الهبوط غربا نحو سهول بلاد ما بين النهرين او دخول الأناضول. وعلى عكس ذلك، كان على غزاة الغرب (كالمكدونيين والبيزنطيين والعرب والترك) أن يجتازوا كذلك جبال كوردستان واحتوائها ليتمكنوا من التوجه شرقا نحو إيران واسيا الوسطي، فبدون ذلك فان جغرافية المكان لجبال كوردستان كانت تشكل عقبة كأداء أمام أي اجتياح عسكري لها ما لم تقدم في سبيل ذلك تضحيات جسام. وان تصادف أن تواجهت قوتان متصارعتان لاحتواء كوردستان وتعذر على إي منهما تحقيق ذلك الاحتواء، وتخندق كل طرف فوق نصف أو جزء من هذه البلاد، فأن من شأن ذلك، ان يخلق بينهما نوعا من توازن القوى. عندئذ سيكتفي كل طرف باحتلال ذلك الجزء والتخندق فيه فترة، قد تطول أو تقصر، ومعنى ذلك ابتلاء الأمة الكوردية بأكثر من محتل واحد، في زمن واحد، لأراضيها.

٤- لقد تم اختيار خمسة معارك تاريخية حاسمة كنماذج صارخة على خطورة الموقع الجغرافي لأرض كوردستان بطبيعتها الطبوغرافية الجبلية ووظيفتها الجغرافية البينية والعازلة وبإمكانياتها الاقتصادية الزراعية والرعوية المتواضعة. فهذه المعارك المصيرية، باستثناء الأولى منها، والتي دارت رحاها جميعا فوق المسرح الجغرافي لهذه البلاد الكوردية، كان لها شان خطير في مجمل التاريخ الكوردي، وتاريخ المنطقة والعالم القديم بأسره، لأنها دللت بما لا يترك الشك أو الشبهات على (جيوبولتيكية نقمة مكان كوردستان) على الأمة الكوردية، لأنها كانت الأمة الوحيدة المتضررة من هذه النقمة الجغرافية رغما عنها، أما المعارك الخمس حسب تسلسلها الزمني فهي:

١- معركة نينوى عام ٦١٢ ق.م.

٢- معركة كوكاميلا عام ٣٣١ ق.م.

٣- معركة نهاوند عام ٦٤٢ م

٤- معركة ملاذ كورد عام ١٠٧٠م.

٥- معركة جالديران عام ١٥١٤م.

وفيما يلي أهم النتائج الجيوبولتيكية المترتبة على نتائج هذه المعارك:

١- معركة نينوى ٦١٢ ق.م:

كان الميديون في صراع دائم مع الأشوريين، مثلما كان البابليون يواجهون، هم أيضا، الضغوط الأشورية. لقد أرهبت الدولة الأشورية،

بغاراتها المتكررة على القرى والمستوطنات الميدية، سكان ميديا الذين كانوا يدافعون عن بلادهم ضد تلك الهجمات قبل وبعد تأسيس الدولة الميدية ولحين سقوط الدولة الآشورية وانتهاء دورها في التاريخ القديم. لم يخطط الميديون هجومهم الشامل والنهائي على بلاد آشور إلا زمن ملكهم الثاني كيخسرو (cyaxares) للإطاحة بهذه الدولة التي لازمتهم العداء. ففي ٦١٥ ق.م جهز الملك الميدي كيخسرو جيشا منظما من المشاة والخيانة والعربات الحربية لضرب قلبي المملكة الآشورية، مدينتي آشور ونينوى، من جهتي الشمال والشرق والغرب، وتم له ذلك في عام ٦١٤ق.م فدمر مدينة آشور اولا، وفي عام ٦١٢ وصلت القوات البابلية بقيادة الملك نبوبلاسر، للمساهمة في ذلك الحصار، من الجنوب والغرب والتعاون مع القوات الميدية في إسقاط الدولة الآشورية، وعند اسوار نينوى اتفق الملكان، الميدي والبابلي، على عقد معاهدة تعاون عسكري الضرب وإسقاط الدولة الآشورية واحتلالها (فؤاد حمه، ٢٠٠٦، ص ١٩). **وقد عززت هذه المعاهدة، فيما بعد، بزواج ملكي حيث زوجت الأميرة (آماتيس) ابنة الملك الميدي كيخسرو الي نبوخذ نصر بن الملك البابلي نبوبلاسر** (Herodotus, 1966, P.341).

وفي عام ٦١٢ ق.م ساهم الجيشان الميدي والبابلي في معركة نينوى بعد حصار لها دام ثلاثة أشهر، أسفر عن اجتياح المدينة وتدميرها وقتل وأسر من فيها وكان من بين القتلى آخر ملوك آشور (سن- شار- اشكوم). وبموته ماتت الدولة الأشورية التي اقلقت المنطقة فترة طويلة من الزمن، وتشكلت على انقاضها قوتان عظيمتان، بمقياس الجغرافية السياسية لذلك الزمن، هي: الإمبراطورية الميدية التي امتدت ارجاؤها من افغانستان شرقا وحتى

نهر (هاليس) قزيل ايرمق في وسط تركيا الحالية"، والدولة البابلية التي امتدت الى الغرب منها في الهلال الخصيب وكان السور الميدي في وسط العراق الحالي يفصل ما بين اراضي الدولتين الحليفتين.

ان احد التفسيرات الجغرافية، للصراع الميدي-الأشوري، يعزى الى تفاوت قدرات بيئتي الطرفين، جبال ميديا وسهول نينوى. لذلك تقول المس سامبل (ان السهول تملك ما لا تملكه الجبال، هذه حقيقة اساسية في الجغرافية الاقتصادية، فقد قاد ذلك إلى أحداث تاريخية وصراعات، وما هجوم الميديين الجبليين على اشور وتدميرهم لنينوى الا صراع من هذا النوع.

من نتائج معركة نينوى هذه تحول جيوبولتيكية (نقمة المكان) لأول مرة في التاريخ الكوردي القديم لتصب غضبها على الدولة الأشورية أولا، وبالمنفعة على الأمة الكوردية ثانيا، فبعد هذه المعركة تحرر الشعب وخضعت كل سلاسل جبال زاجروس (كوردستان) وانتي طوروس لجيوش الميديين، وهذا مكن الشعب الميسدي من أن يصبح قوة كبرى مهابة الجانب في غرب اسيا حكمت من عام ٧٠٠- ٥٥٠ ق.م، هو عمر الإمبراطورية الميدية الكوردية (Henry Smith Williams, 1926, P.380) ، وهذا ما يتلاءم مع الفرضية الأولى من الفرضيات التي سبق ذكرها.

٢- معركة كوكاميلا (Gaugamela) عام ٣٣١ ق.م.

كان قدر كوردستان آن تدور رحى هذه المعركة الطاحنة، بين جيش الاسكندر المكدوني، وجيش داريوس، إمبراطور الفرس آنذاك، على ارض كوردستان شمال غرب مدينة اربيل بحدود ٩٠كم، فوق رابية دعيت بـ (كوكاميلا)، لذلك تعرف هذه المعركة احيانا بمعركة

اربيلا، وذلك في اليوم الأول في شهر تشرين الأول من عام ٣٣١ ق.م. وبموجب الأسلوب الكلاسيكي للمعارك، فان اى معركة كان عليها أن تستمر لحين هزيمة احد الطرفين المتحاربين، فبعد ان انتصر المكدونيين، خسر الفرس خلال هذه المعركة ٤٧٠٠٠ قتيلا، مقابل ٤٠٠٠ قتيلا من الجيش المكدوني، وهي ثاني أكبر معركة ينتصر فيها الاسكندر المكدوني على داريوس بعد معركة ايسوس عام ٣٣٣ ق.م. وبهذا النصر للمكدونيين تحولت كوردستان، بسبب نقمة المكان ايضا، إلى إحدى مقاطعات الإمبراطورية المكدونية. ومع ان الاسكندر لم يتدخل في تغيير اى من تقاليد وممارسات الإدارات القبيلة الكوردية، فقد ساعد ذلك على ترسيخ الهيمنة الكوردية على جبال زاجروس "كوردستان" (Barry Porter, 2002, P.17).

ومن وجهة النظر الجيوبولتيكية ليس هناك من شك في أن هذه المعركة غيرت مجرى تاريخ غرب اسيا برمته، فقد خضع هذا الجزء الواسع من القارة، بما فيها كوردستان، للسيادة الهيلينية القرون عديدة، وتأثر سكانها بالثقافة اليونانية الكلاسيكية علما واديا. وهذا الانتصار الساحق للإسكندر المكدوني في الموقع الذي اختاره، يتفق والفرضية الثانية من الفرضيات التي اعتمدها البحث.

٣- معركة نهاوند عام ٦٤١ ميلادية:

تعتبر معركة نهاوند من المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي والتي حدثت زمن خلافة عمر بن الخطاب سنة ٦٤٢م قرب بلدة نهاوند الكوردية عمق جبال زاجروس، والتي انتصر فيها المسلمون بقيادة النعمان بن مقرن مع انه قتل في نفس المعركة (الطبري، ١٩٩٨، ص ٣١٨) **زج الملك الفارسي يزدجرد الثالث بما تبقى من فلول جيوشه المهزومة في القادسية وطيسفون (المدائن) وبحدود**

٥٠٠٠ مقاتل، مقابل ٣٠٠٠٠ الف مقاتل من المسلمين. لكن الهزيمة النكراء فوق ارض كوردستان الحقت بالفرس، الذين بهزيمتهم، انتهى حكم الدولة الساسانية بعد ان دام ٤١٦ سنة. وتبعا لهذا الانتصار الساحق للمسلمين، والذي عرف (بفتح الفتوح) (عز الدين أبو الفتوح، ١٩٨٩، ص ١٨٦)، **فقد تمكن المسلمون العرب من عبور جبال كوردستان والتوجه منها شرقا حتى تخوم الصين، وبسبب نقمة المكان انتقلت التبعية الإدارية والسياسية لكوردستان، هذه المرة، من الفرس الى العرب، فأصبحت كردستان جزءا من ممالك الدولة العربية الإسلامية، وكما تقول السيدة عايدة العلي: كانت من احدى النتائج المترتبة على فتح إيران ودخول العرب الى المناطق التي يسكنها الكورد والتي كانت جزءا من الإمبراطورية الساسانية وأصبحت في عداد مناطق الخلافة العربية المترامية الأطراف، كما وانتقل سكانها من الديانة الزردشتية إلى الديانة الإسلامية، وبذلك اكتسبت الأمة الكوردية سمة حضارية جديدة كان لها تأثيرها في مسار التاريخ الكوردي الاحق. وهذا الانتصار يتفق ومتطلبات الفرضية الثانية اعلاه.**

٤- معركة ملاذ كورد Manzikert ١٠٧١م:

تعرف هذه المعركة في المصادر الانكليزية ب (Manzikert battle) أو (Malazgirt) والأصح هي (Mlazkurd) وملاذ كورد هي مدينة كوردية تقع شمال بحيرة وان، ضمن ولاية موش، في كوردستان وتركيا. والمعركة التي دارت بجوارها والتي عرفت باسمها كانت من المعارك التاريخية الدامية التي دارت رحاها في قلب الاراضي الكوردستانية بين جيش البيزنطيين بقيادة الملك رومانوس، والسلاجقة الأتراك بقيادة زعيمهم الب ارسلان قادمين من أواسط آسيا والمتجهين غربا نحو كوردستان و غرب الأناضول وبلاد ما بين

النهرين. لقد قدر عدد الجيش البيزنطي بحدود ٤٠٠٠٠ مقاتل، قابلهم فيها جيش بدوي سلجوقي تعداده ٥٤٠٠٠ مقاتل. وكان من نتائجها الخطيرة والمؤثرة، ليس في تاريخ الشرق الأوسط وحسب، بل في تركيبته الاثنوغرافية، وتشكيلية السكانية، ونظامه السياسي، وبخاصة بالنسبة لأسيا الصغرى وما وراء القفقاس

يقول المؤرخ المشهور سدني فشر: بعد معركة ملاذكورد ١٠٧١ نهبت العصابات التركية اسيا الصغرى حتى مدن سيواس، قيصري، وقونية والى شواطئ مرمره، وبعد أن فتحت أسيا الصغرى كلية للغزاة لمدة تزيد عن قرن، وجدت العديد من القبائل الرحالة التركية ان مناطق وجبال وممرات الأناضول جذابة للسكن والاستقرار فسمي هؤلاء بالتركمان.

لقد انتصر السلاجقة الغزاة في هذه المعركة ودحر البيزنطيون واسر ملكهم. وتغيرت تبعية الأقاليم الإسلامية، الإدارية والسياسية، بما فيها كوردستان. فنقمة المكان هذه المرة تتمثل في خضوع كوردستان لحكام جدد أكثر قسوة وفضاضة من سابقيهم، ألا وهم أتراك أسيا الوسطى، فأصبحت اللغة والحضارة التركية، باعتبارها حضارة الحكام الجدد، ثقافة السلطة الجديدة التي فرضت بالإكراه ولم يتقبلها الشعب الكوردي. بعدها بدأت الهجرات التركية من اسيا الوسطى بكثافة نحو القفقاس واذربيجان واسيا الصغرى وبخاصة بعد أن عشش السلاجقة في هضبة الأناضول، والجزء الغربي في اسيا الصغرى. هكذا تسببت نقمة المكان، وتغير موازين القوى المسيطرة، في ان اصبحت كوردستان، في كل مرة، إقليما تابعا لسلطة، فبعد أن كانت خاضعة للفرس، انتقل خضوعها على التوالي للمكدونيين والعرب

ثم البيزنطيين فالسلاجقة الأتراك. وهذا يتفق ومتطلبات الفرضية الرابعة المذكورة أعلاه.

ان اخطر ما مارسه السلاجقة والموجات التركية اللاحقة ضد الأقاليم، التي اجتاحوها واحتلوها وحكموها، هو محاولتهم العبث في مكونات تلك الأقاليم الاثنوغرافية ومحاولة تتريكهم وتهجيرهم بالقوة، وفرض لغتهم وحضارتهم عليهم بالإكراه، وخاصة بعد ان انتشرت جيوشهم القاسية التي خلت ضمائرها من الشفقة أو الرحمة، فنهيت المحاصيل وهدمت البيوت وخطفت النساء واحترقت الحقول والبساتين وهجرت السكان، كما حدث ذلك في اذربيجان التي تمكنوا من تتريكها، وكذلك تتريك هضبة الأناضول والقسم الغربي في اسيا الصغرى، ومن ثم توارثوا الحكم، بعد إسلامهم، الذي ساعدهم على فرض سلطتهم وسياستهم تلك. ولعل اخطر ما في نتائج احتلال السلاجقة الأتراك لكل الأراضي الممتدة من أواسط اسيا حتى القدس، كما يقول فيرجريف، هو بدء الحروب الصليبية في ذلك الوقت لأنهم قضوا على الإمبراطورية الرومانية الشرقية عام ١٤٥٣.

وما يهم هنا هو فشل كل محاولات الغزاة الأتراك، من سلاجقة، وخرفان بيضاء، وسوداء، وعثمانيين وغيرهم، في تتريك الأمة الكوردية أو فرض حضارتهم على كوردستان. رغم انهم تركوا، بعد هذه المعركة، الباب مفتوحا للهجرات التركية أو التركمانية نحو الشرق الأوسط. لقد حاول الأتراك بمختلف فصائلهم اقتحام كوردستان وتشجيع الترك او التركمان على السكن فيها، لكنهم واجهوا مقاومة بطولية عنيفة من قبل القبائل الكوردية المحاربة التي حالت دون تنفيذ ذلك المخطط الأسود، لذا نجد اليوم ان الاثنية التركية أو التركمانية تتركز في إقليمين محيطين بكوردستان الأول شرق كوردستان، في

اذربيجان، والأخر في غربها، وسط الأناضول وغرب اسيا الصغرى، أما كوردستان الجبلية، التي تتوسطها، ضلت عصية عليهم ولم يفلحوا في تغيير اثنيتها الكوردية مثلما غيروا أثنية أذربيجان الفارسية، وأسيا الصغرى الأرمنية والهيلينية واليونانية. فحول هذا الموضوع يشير الكاتب الإيراني حسن عرفه، في كتابه (The Kurds) مايلي عن دور جبال كوردستان في ذلك: لم يجرؤ الأتراك على السكن في كوردستان، فبعد تتريكهم لأذربيجان عبروا جبال كوردستان من بعض مسالكها ليدخلوا السهول الخصبة لأسيا الصغرى متجهين نحو بحر ايجة غرب الأناضول وشواطئ البحر المتوسط الدافئة فاستقروا فيها مختلطين مع السكان الأصليين لتلك المناطق من الكبادوكيين والفريجيان والليديين والميسيين والكيريانز والبمفيليانز واذابوهم معهم في اقل من قرنين من الزمان، أن عدم تمكن الأتراك من الاستقرار في جبال كوردستان التي تقطنها القبائل الكوردية الشرسة يعكس الحقيقة القائلة، أن بين المنطقتين التي يتكلم بها شعب باللغة التركية - اذربيجان في الشرق والأنضول في الغرب بقيت المنطقة الواسعة الممتدة بينهما، ارض كوردستان، التي ضل الشعب الكوردي محتفظا فيها بلغته النقية وبعاداته المعروفة لحد الآن، دون تأثر، رغم انهم لم يتمتعوا بأى استقلال سياسي، لذا بقوا تحت سذاجة حكامهم وإداراتهم وتبعيتهم للسلطة السياسية المتسلطة عليهم مما اكسبهم سمعة لا تليق بهم، فقد ألحقت بهم سمة العصيان ومخالفة القانون وغير ذلك من النعوت الباطلة (Hassan Arfa, 1966, P.9) **. لقد كانت هذه التهم اسهل الإدانات للأفراد والجماعات والقبائل الكوردية، عند جميع القوى التي تسلطت وحكمت بلاد الكورد، طالما ظل الشعب الكوردي موحدا صامدا بوجه طغيان تلك السلطات الأجنبية ورافضا لها فكما يقول مولتكه، المستشار العسكري الألماني زمن السلطان**

محمود: "سوف يكون من المستحيل التغلب على الكورد إذا ما وحد صفوفهم" (كونتر دشنر، ١٩٩٢، ص ٧٠).

٥- معركة جالديران (Chaldiran):

احد اشهر المعارك التي خاض غمارها الأجانب فوق اديم كوردستان. وقعت هذه المعركة فوق سهل جالديران، قرب قرية جالا آشاخي، على بعد ستة كيلومترات الى الغرب من مدينة سياجه شمه، جنوب مدينة ماكو الكوردستانية، في ١٥١٤م بين الجيش الإيراني (الصفوي) بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي والجيش العثماني (التركي) بقيادة السلطان سليم الأول، حيث حشد الإيرانيون جيشا بلغت تقديراته ١٠٠٠٠٠ مقاتل، في حين جند العثمانيون لهذه المعركة بحدود ٤٠٠٠٠ مقاتل.

قدر الجغرافيا هذه المرة في أن تدور رحى هذه المعركة فوق كردستان، مرة اخرى، ليتحمل الشعب الكردي اوزارها المأساوية، كما حدث له في المعارك السابقة. فقد حاولت الدولتان المتجاورتان المتنافستان احتلال جبال كوردستان لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية، لكن أي من القوتين لم يتسنى لها تحقيق ذلك لتمركز قوات كل منها في جزء من هذه الجبال، فكل دولة كانت لها اهداف محددة فيها، فالإيرانيون خاضوها من اجل احتلال كوردستان بالكامل لدرء خطر تأسيس إمبراطورية سنية معادية على حدودهم الغربية، بينما أمل العثمانيون منها كسر شوكة الفرس والحد في تداخلاتهم ومعاداتهم الدائمة لدولتهم الفتية، وكان الطرفان يعتمدان على اهمية جبال كوردستان ومنعتها في تحقيق ذلك، لكن النتيجة كانت في صالح الدولة العثمانية حيث دحر الجيش الفارس وأسر ملكه فيها، بعد أن

خسروا فوق ارض المعركة ٥٠٠٠ قتيل، مقابل ٢٠٠٠ قتيل من العثمانيين . وهذا ما يتفق والفرضية الثالثة اعلاه.

ولعل اهم اسباب هزيمة الفرس في هذه المعركة، التي حددت مستقبل العلاقات السياسية بين الدولتين ورسمت معالم الحدود الفاصلة بينهما، وشطرت ارض كوردستان الى قسمين، هو ان العثمانيين استخدموا لأول مرة المدفعية التي اخفيت عن انظار الفرس لحين استخدامها في المعركة، وكان من نتائج هذه المعركة بالنسبة للعثمانيين هو توغل الجيش التركي في الأراضي الإيرانية حتى عاصمتهم تبريز" ثم انسحابه منها، بعد أن ضمنوا سيطرتهم على كوردستان الشمالية والجنوبية. انهت هذه الحرب التمردات العلوية داخل الدولة العثمانية كما انهت التهديدات الإيرانية للدولة العثمانية لكنها لم تنهي الحرب بينهما والتي استمرت ١٢٤ سنة أخرى بينهما حتى انتهت بتوقيع معاهدة زهاو عام ١٦٣٨م والتي حصلت بموجبها إيران على المناطق ذات الغالبية الشيعية مثل اذربيجان ولورستان و عربستان، اما القسم الغربي من كوردستان فخضع للعثمانيين وفقدته إيران بشكل دائم، فالحروب اجبرت الطرفين على رسم الحدود الدولية بينهما وان نصبح كوردستان منطقتي نفوذ للدولتين، بمعنى ظهور اول تقسيم دولي للوطن الكوردي، وهكذا جعلت نقمة المكان من الوطن الكوردي، كما يقول ديفد رومانو: "نقطة التقاء للإمبراطوريتين العثمانية والفارسية، وهذا كان يعني أن العديد من الأمارات الكوردية استخدمت كمناطق حاجزة او ارض معارك بين هاتين الإمبراطوريتين" (David Romano, 2006, P.3)**. وهذا ما يتفق الفرضية الثالثة التي سبق ذكرها بسبب حصول كل طرف على الميزات الاستراتيجية لذلك الجزء الجغرافي من كوردستان، الذي احتله وتمسك**

به، وهذا الوضع الجيوبولتيكي ربما هو الذي ساعد على إيجاد نوع من توازن القوى بين الطرفين.

اما على الصعيد الكوردي فقد أرغمت جيوبولتيكية نقمة المكان في هذه المعركة، الدولة العثمانية على القبول باستقلال الإمارات الكوردية ضمانا وتأكيدا لحماية حدودها في هذا الجزء من كوردستان ضد التوسع الإيراني والتسليم بإداراتها الذاتية تحت قياداتها المحلية. وجدير ذكره هنا (ان الأمراء الكورد وقعوا بعد هذه المعركة، في عام ١٥١٦ مع الدولة العثمانية على اتفاقية مكنت الدولة العثمانية من إلحاق كوردستان الكبرى (الأصح النصف الغربي منها) بالدولة العثمانية مقابل احتفاظ الكورد بإماراتهم وحكوماتهم ذات الحكم الذاتي. إلا كسواتر دفاعية امامية للدولة العثمانية لمواجهة الدولة الصفوية الشيعية، وكان ذلك التوجه العثماني يمثل ضرورة أمنية لخدمة تلك المرحلة وليس إيمانا منها بحقوق الكورد الوطنية والسياسية، لذا فان الأمر لم يدم طويلا، فسرعان ما انقلب السلاطين العثمانيين اللاحقين على الكورد، وخاصة بعد حكم السلطان محمود الثاني (١٨٠٩-١٨٩٠)، إذ أصدرت الحكومة العثمانية عام ١٨٢٦ قرارا بالقضاء على الإمارات الكوردية وامرت بتعيين حكام ترك محلهم، مما ادى الى توالي الثورات القومية الكوردية في تلك الدولة.

يتضح من كل ما تقدم أن جيوبولتيكية نقمة المكان، أي تحول دور وأهمية مكان كوردستان، من ارض جبلية لحماية وصيانة ووحدة الأمة الكوردية واستقلالها السياسي الى ساحة تتصارع عليها الجيوش الأجنبية الغازية طمعا في احتلال كوردستان، للتوجه بعدها إلى الأقاليم التي تمتد بعدها، وتحويل جبال كوردستان الى ميدان لصراع القوة عبر ذلك الزمن الطويل، وانعكاس مرارة ذلك الصراع على اهل البلاد

فضلا عن تقسيم وتجزئة كوردستان، هو الذي جعلنا نعبر عن تلك الأحداث بـ (نقمة المكان) على اهله. وهذه النقمة أوصلتنا إلى الاستنتاجات التالية:

١- ان الموقع الجغرافي لكوردستان (مكانها) هو الذي شكل تاريخها منذ أن وجد الشعب الكوردي فوق جبال كوردستان منذ الألف الثالث ق.م وحتى يومنا هذا، وهو الذي حدد اهميتها الجغرافية والجيوستراتيجية، الإقليمية والدولية. كما أن نقمة المكان وما ترتبت عليه نتائج معارك كل الغزاة الأجانب من اضطهاد ومظالم وتقسيم لأراضي بلادهم وضمها واحتلالها، كان العامل الحاسم في فشل كوردستان في الحصول على استقلالها الكامل ونيل الاعتراف الدولي بهويتها كدولة ذات سيادة لحد الآن.

٢- تشير هذه الأحداث التاريخية ونقمها، التي لحقت بالشعب الكوردي بوضوح لا لبس فيه، إلى أن تلك القوى الغازية، العابرة أو المقتحمة، لجبال كوردستان، شرقية كانت أم غربية، كانت كلها قوى منظمة بخلاف الشعب الكوردي الذي كان مشتتا بين قبائل أو إمارات صغيرة وبدون قيادة مركزية موحدة، وحسبما يقول المؤرخ القدير ال. فشر "ان القوة المنظمة تستطيع دائما أن تهزم الراي غير المنظم" (فشر، بدون، ص ٨)، **وهذا يعني أن الأمة الكوردية كانت ولا تزال أحوج ما تكون الى وحدة الكلمة، ووحدة القيادة، لتجاوز مخاطر وتهديدات نقمة المكان التي لا تزال قائمة.**

٣- ان كل القوى التي غزت الشرق الأوسط، بما فيها كوردستان، بدوية كانت ام حضارية، كلها كانت قوي منظمة منضبطة تحت قيادة موحدة، لذلك كسبت المعارك واسست الدول والإمبراطوريات، في حين كان الشعب الكوردي شعبا قبليا مفككا يفتقر للقيادة الموحدة، وكان هذا

هو السبب الذاتي المزمن في عدم حصوله على استقلاله، وتشكيل دولته، وبقائه تابعا، وبلاده مجزأة ومدمجة ببلدان أربع حتى الوقت الحاضر.

٤- أن جيوبولتيكية نقمة المكان وما ترتب على نتائج المعارك التي عالجها البحث فان الباحث توصل الى الفرضيات الجيوبولتيكية الثلاث التالية بخصوص القوى التي تناوبت السيطرة على كوردستان:

** أن القوة التي كان بإمكانها السيطرة على جبال كوردستان، كان بإمكانها امتلاك مفاتيح النصر شرقا وغربا.

** أن القوة التي تمتلك تلك المفاتيح، كان بإمكانها السيطرة على الأقاليم المجاورة، واحتلالها، وتأسيس الإمبراطورية

** أن القوة التي ليس لديها مثل هذه القدرات وتمركزت في جزء من هذه الجبال وتخندقت فيه، فان من شان ذلك، أن يمنحها نوعا من توازن القوى فوق ارض كوردستان، مع أية قوة منافسة اخرى، أوقات الحرب.

رابعا: اقليم كردستان العراق وريث النقمة:

١- حدوده:

لاشك أن ثمة صعوبات تكتنف، تعيين الحدود الجنوبية و الجنوبية الغربية لإقليم كردستان العراق، إذا ما اعتبرنا إن الحدود الشمالية والشرقية وكذلك الشمالية الغربية للإقليم هي حدود سياسة للعراق واضحة المعالم، أي هي حدود سياسية دولية بين العراق و جاراته (إيران و تركيا و سوريا).

لقد جرت في هذا الصدد محاولات كثيرة لترسيم حدود اقليم كردستان العراق عمد الباحثون خلالها التركيز على الواقع الحالي للتوزيع السكاني و الذي تعرض عبر التاريخ و لاسيما ، خلال التاريخ المعاصر إلى عمليات تغير مستمرة في التركيب القومي للسكان، فيما خضع بعض منها إلى اجتهادات شخصية أو سياسية أو قومية، لباحثين من الكرد و العرب و الأجانب (خليل اسماعيل، ١٩٩٨، ص ٧)**.**

وفي هذا الصدد لابد من الإشارة و بشكل من الإيجاز إلى عدد من الآراء و الاجتهادات التي تتعلق بحدود إقليم كردستان العراق و خاصة عند جهاتها الجنوبية و الجنوبية الغربية.

فقد أشار ادمونز إلى إن خط الحدود يمتد على طول سفوح الجبال المنتهية بضفاف نهر دجلة متجها الى الشمال قليلا، من مرتفعات حمرين حتى تصل الحدود العراقية الإيرانية بالقرب من مندلي (ادمونز، ١٩٧١، ص ٧)**.**

وقبل ادمونز اكد ملنجن في عام ١٨٧٠ على ان حدود كوردستان العراق من الجهة الجنوبية الغربية هي سلسلة مرتفعات حمرين و نهر دجلة، و يضيف الى ان اختلاط العنصر الكوردي يظهر في هذا الجزء بالترك و العرب حيث تتواجد العشائر الكوردية الرحالة عند الشواطئ المقابلة لنهر دجلة شمال تلك المرتفعات و يضيف ملنجن قائلا يعتقد البعض ان في هذا التحديد شيئا من الغرابة بالنسبة اللجغرافيين، او يثير اعتراض بعض الناس الذين سيعتبرون كردا ضمن هذا التحديد دون رغبتهم في ذلك، لكنه يؤكد قائلا ان الحدود الغربية لكوردستان هي سلسلة مرتفعات حمرين التي تجاور سهل بغداد و سهل دجلة(Major F., 1870, P.151) **.**

اما (دبليو ار. هي) فقد حدد كوردستان العراق هكذا (ان جميع الأراضي الكائنة شرق دجلة و شمال خط يمتد من مندلي إلى مصب الزاب الصغير هو موطن الأكراد، وان أهم مركزين جنوبي الزاب الصغير هما كركوك و السليمانية) (دبيلو، ١٩٧٣، ص ٥٨).

و عندما تناولت عصبة الأمم مسالة الحدود بين العراق و تركيا عام ١٩٢٤، أكدت أن سلسلة مرتفعات حمرين تعتبر حدا طبيعية لكوردستان في جهاتها الجنوبية و الغربية وهي جغرافيا حد فاصل بين العديد من المظاهر البشرية والطبيعية.

تمثل حدود إقليم كردستان العراق مع إيران في الشرق جزءا من الحدود العراقية - الإيرانية، وحدود الإقليم من الشمال مع تركيا هي الحدود العراقية التركية، أما حدوده مع المحافظات العراقية المجاورة فهي محل نزاع بين الإقليم والحكومة العراقية الاتحادية، ويمكن تتبع الحدود على النحو التالي :

أ- الحدود الشمالية:

وتتمثل في الحدود مع دولة تركيا ويبلغ طولها ٣٥٢ كم بما يعادل نحو خمس الطول الإجمالي لحدود الإقليم كما يتضح من جدول () وتبدأ من جهة الغرب من نقطة التقاء نهر الخابور بنهر دجلة شمال قرية فيشخابور الى أن يلتقي بالمثلث الحدودي مع تركيا و إيران عند ممر كادر الذي يبلغ ارتفاعه ٣٠٠٠ متر (مريم فتاح عزيز، ١٩٧٠، ص ٤٩).

ومما يلاحظ أن المنطقة التي يسير فيها هذا الخط الذي يربط الإقليم بتركيا وتتشابه فيها التكوينات الجيولوجية و التضاريس و النبات الطبيعي و المناخ و التربة ونوع الاستثمار الزراعي و طبيعة الاستيطان البشري) و كلتا المنطقتين اراضى كوردستانية، تتشابه فيها الظواهر الجغرافية.

ومما يلاحظ على خط الحدود هذا بانه لا يمثل خطا طبيعيا للفصل بين دولتين رغم انه يمر عبر منطقة مرتفعة معقدة التضاريس تحدد الحركة في أجزاء عديدة منها لأنها معابر اتصال بين الجانبين أوجدت علاقات اقتصادية بينهما فضلا عن التماثل القومي و الديني للسكان في هذه المنطقة.

ان هذه الحدود رغم وعورتها لكنها استغلت من الناحية السياسية للتدخل في شؤون الإقليم حيث تدخل الجيش التركي مرارا قبل و بعد سنة ١٩٩١ بحجة مطاردة حزب العمال الكوردستاني، الأمر الذي تسبب في ازمات سياسية بين تركيا و حكومة الاقليم.

كما استطاعت تركيا توظيف مقاطعة العراق اقتصاديا والاشتراك في فرض الحصار عليه في تحقيق منافع اقتصادية، تمثلت بالحصول على تعويضات ووعود بتعويضات اقتصادية هائلة (عماد جاد، ١٩٩١، ص ٧٧)، **إلى جانب السعي لتحقيق أحلامها في عودة ولاية الموصل اليها.**

جدول (١) حدود اقليم كردستان

الحدود المشتركة	اقليم كردستان	دولة العراق	% من حدود العراق مع دولة الجوار	% من حدود الاقليم
مع تركيا	٣٥٢	٣٥٢	١٠٠	٢٠,٢
مع ايران	٤٣٩	١٤٥٨	٣٠,١	٥٢,٢
مع المحافظات العراقية	٩٥٤	ــ	ــ	٥٤,٦
الاجمالي	١٧٤٥	ــ	ــ	١٠٠

ب- الحدود الشرقية للإقليم

وتمتد مع دولة ايران ويبلغ طولها نحو ٤٣٩ كم ، بما يعادل ربع الطول الإجمالي لحدود الإقليم.

فبعد قيام الدولة العراقية عام ١٩٢١ ورث العراق عن تلك الدولة حدودها الشرقية في ظل المعاهدات و الاتفاقات الدولية بين العثمانيين و الايرانيين و اخرها بروتوكول سنة ١٩١٣ و بروتوكول لجنة تحديد الحدود سنة ١٩١٤ التي ثبت خط الحدود على الأرض، وكان من المفروض أن لا ينشأ بين الدولتين خلاف بشان الحدود، ولكن على الرغم من ذلك قامت الحكومة الإيرانية في سنة ١٩٣٢ بسلسلة من أعمال التغييرات على الحدود العراقية و أعلنت عدم التزامها باتفاقيات الحدود بين البلدين.

ان القسم الأعظم من منطقة الحدود الشرقية عبارة عن منطقة جبلية، حيث تأخذ المنطقة الجبلية اتجاها من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي بارتفاعات تتراوح ما بين ١٥٢٤- ٣٣٥٢ وتقع أغلب هذه المنطقة ضمن الأراضي الإيرانية حيث تستمر المنطقة لمسافات بعيدة، أما في إقليم كوردستان فتتحصر المنطقة الجبلية في الجزء الشمالي الشرقي فيه أي في القسم الشمالي من خط الحدود (خالد رشيد، ١٩٠، ص ٩)، **و هذا العامل له خطورته على إقليم كوردستان اذ تزداد سيطرة المنطقة الجبلية الإيرانية على أراضي إقليم كردستان المجاورة لها و بالتالي فهي دعم لقدرتها الهجومية او الدفاعية في هذه المناطق.**

تعرض حدود إقليم كردستان خلال الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) الى هجوم عسكري و تضرر من خلالها الإقليم،

حيث اضطر سكان بعض المناطق الى مغادرة المناطق الحدودية والسكن في المجمعات القسرية، كما تعرضت كبرى مدن إقليم كردستان مثل السليمانية و خانقين و حلبجة و مندلي و بنجوين الى القصف المدفعي و الجوي طيلة تلك الفترة.

ومنذ اندلاع الانتفاضة و تشكيل حكومة إقليم كردستان العراق كان الموقف الإيراني الجار في معظم الأوقات يتسم بالسلبية والتدخل في شؤون الإقليم الداخلية وممارسة الضغوط السياسية على حكومة الإقليم بسبب توجهها القومي وعلاقاتها مع القوى العظمي واتجاهها الديمقراطي التحرري.

ج- الحدود مع المحافظات العراقية:

ويبلغ طول حدود الإقليم مع المحافظات العراقية المجاورة نحو ٩٥٤كم، بما يعادل نحو ٥٥%من حدود الإقليم.

وتسير هذه الحدود في الجنوب والجنوب الغربي لإقليم كردستان تبدأ الحدود الجنوبية لإقليم كوردستان كما سبقت الإشارة من جنوب مدينة مندلي قرب الحدود مع ايران ثم تتجه باتجاه الشمال الغربي ثم تسير بمحاذاة الطرف الجنوبي لسلسلة مرتفعات حمرين حتى تصل الى الفتحة، من هناك تتخذ الحدود مجرى نهر دجلة حدودا له حتى يصل الى شمال مدينة الموصل، ثم يتجه خط الحدود الى جنوب قضائي تلعفر و سنجار و ينتهى عند الحدود السورية، في الحقيقة هذه الحدود عبارة عن خط متعرج طويل و تقع ضمن منطقة انتقالية و يطلق عليها الجغرافيون أسماء عديدة منهم من اسماها بمنطقة الروابي (طه الهاشمي، ١٩٣٨، ص ٢٦)، **ومنهم من اسماها بالمنطقة شبه الجبلية**

(غوردون هستد، ١٩٤٨، ص ٢٤) **ومنهم من اسماها بمنطقة المقدمات الجبلية.**

وهي منطقة انتقالية بين النطاق الجبلي في أقصى الشمال و الشمال الشرقي وبين السهل الرسوبي، حيث تشكل مرتفعات حمرين الطويلة الجزء الأعظم من الحدود التي يبلغ معدل ارتفاعها ٢٠٠ متر (فؤاد حمه، ١٩٧١، ص ١١)، **بالإضافة إلى نهر دجلة الذي يشكل ظاهرة طبيعية تفصل الإقليم عن بقية أجزاء العراق، و عند أطرافها الغربية قرب سوريا تظهر مرتفعات تلعفر وإبراهيم وعدية ومكحول وهي جبال يقل ارتفاعها عن ١٠٠٠متر باستثناء جبل سنجار الذي يبلغ ارتفاعه ١٤٦٣متر.**

وتعد هذه اطول حدود للإقليم، وكانت معظم المشاكل و الصعوبات تأتي من الحكومة المركزية و خاصة بعد سنة ١٩٩١ فهي التي قامت بإغلاق معظم المعابر و الطرق التي تربط الإقليم بالمركز وبالعالم الخارجي ومنع سكان الإقليم الاتصال بالعالم الخارجي عبرها، وفرض حصارا شاملا على الإقليم كتهديد سياسي و جيوبولتيكي.

وكان العراق يستخدم التهديدات الجيوبولتيكية للنيل من المكاسب التي تحققت في إقليم كردستان وذلك بالعمل على غلق المعابر والطرق وكذلك في التأثير على البلدان المجاورة للإقليم على غلق الحدود والمعابر وإبقاء إقليم كردستان حبيسا وقد ترتب على ذلك صعوبات في عمليات النقل والاتصال الخارجي مما تسبب في ظهور المشاكل السياسية و العسكرية مع الدول المجاورة.

ويمكن درج أهم الجوانب السلبية والتي تشكل نقطة ضعف في كيان إقليم كوردستان على النحو الآتي:

١- إقليم كوردستان العراق جزء من كوردستان الكبرى، وهو جار لدول تضم اراضى كردستان في آن واحد، و لهذا نجد أن حدوث أي تطور سياسي لصالح القضية الكردية في أي جزء من كوردستان، يعد بمثابة خطر يهدد الأمن القومي للبلدان الأخرى التي تشكل كردستان جزءا منها.

٢-ان البلدان المجاورة لإقليم كوردستان بلدان ذات وزن إقليمي كبير من حيث القوة الاقتصادية و السياسية و العسكرية، لهذا فان الإقليم اكثر احتياجا الى حسن الجوار و العلاقات الودية، لذا نرى أن العلاقات مع دول الجوار ليست متوازنة.

٣- يظهر نوع من الضعف الجيوبولتيكي عند المناطق الحدودية لإقليم كوردستان مع دول الجوار وذلك بسبب كثافة الحركة فيها وطول مسافتها وكثرة التعرجات الحدودية و خاصة اذا كانت الدول المجاورة من النوع المناوئ.

٢- الموقع الجغرافي:

يقع اقليم كردستان في شمال و شمال شرق العراق . ما بين دائرتي عرض (٣٤,٥)° شمالا من منطقة كلار في محافظة السليمانية ودائرة عرض (٣٧,٣٢) شمالا، وما بين خط طول (٤٦,١٦) و (٤٦,١٠) شرقا وبذلك يقع اقليم كردستان في المنطقة الشبه المدارية الشمالية، في الطرف الجنوبي الغربي لقارة آسيا ويشكل موقعها جسرا ارضيا من الغرب نحو سوريا، وسواحل البحر المتوسط ، والى الشمال نحو تركيا، وفي الشرق نحو ايران، وبذلك يعد الاقليم الطريق البري الذي يربط العراق عبر تركيا بأوروبا، وبذلك يشكل للعراق في موقعه الجيوستراتيجي، واهميته في قلب الاقليم

المسمى بالشرق الاوسط ، نقطة الارتكاز بين كفتي الارتكاز التي تربط بين دول المشرق العربي العراق ، وبلاد الشام، وشبه الجزيرة العربية من جانب، والدول الاسلامية تركيا، ايران، وحتى افغانستان وباكستان من جانب آخر.

وإذا كانت العراق دولة شبه حبيسة لا تمتلك سوى نافذة بحرية محدودة على الخليج العربي لا تتجاوز ٥٨ كم، وتجعلها ضمن الدول المتضررة جغرافيا، فإن إقليم كردستان العراق يعد إقليم بري حبيس، ولا يمتلك أي نافذة بحرية، ،حيث يحيط به اليابس من جميع الجهات، ولهذا الموقع الحبيس أثاره السلبية على تجارة الإقليم الخارجية الارتفاع نفقات نقل البضائع من صادرات وواردات، والرسوم التي تدفع في دول العبور، والوقت الذي تستغرقه عملية النقل، ويحتم موقع الإقليم الحبيس عليه توثيق الارتباط بدول الجوار الموازنة ضغوط المركز، وضمان استمرارية الاتصال التجاري بالعالم الخارجي، في حال توتر علاقته بالحكومة الاتحادية.

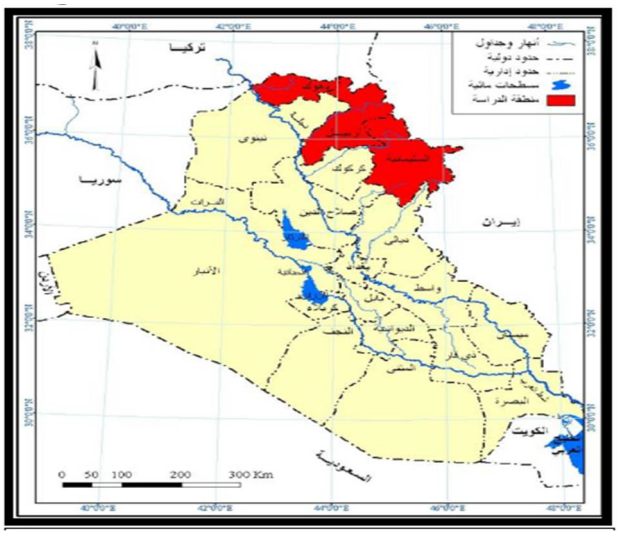

شكل (١) موقع اقليم كردستان

فإقليم كردستان العراق اقليم قاري (حبيس) لا يتصل بأي جسم مائي و بالعالم الخارجي و تمخض عن هذه الوضعية أبعاد جيوبولتكية وسياسية خطرة خلال تجربة الحكم الكوردي و بالتحديد منذ أجراء انتخابات برلمان كردستان و لحد الان، حيث تجسد الواقع الجيوبولتيكي الحبيس لإقليم كردستان و أبعاده داخل كيان إقليم و أسفرت عن تجارب مريرة تمثلت في فرض هيمنة السياسات الإقليمية، و ممارسة أنواع من الضغوط السياسية و العسكرية و الاقتصادية و المذهبية على كيان الإقليم.

وكان الموقف الجيوبولتيكي للإقليم الاستجابة لكثير من الضغوطات السياسية و الاقتصادية، وكان السلاح المستخدم غالبا هو توفير فرص للاتصال بالعالم الخارجي عبر بلدانهم.

ونستطيع إبراز أهم المشاكل و المعوقات التي نتجت عن الموقع القاري لإقليم كوردستان بما يلي:

١-استمرار الازمات السياسية و العسكرية مع دول الجوار

٢- ظهور صعوبات في حركة التجارة و الترانسيت (العبور) من خلال العمل على الاستفادة من اراضي دول الجوار لغرض الاتصال بالعالم الخارجي.

٣-استخدام دول الجوار هذا الموقع كورقة ضغط سياسي للتدخل في شؤون الإقليم.

٣-موقع إقليم كردستان حسب النظريات الجيوبولتيكية

يحتل إقليم كوردستان موقعا مهما، إذ يؤلف مسلكا استراتيجيا للعبور إلى منطقة الشرقين الأوسط و الأقصى (ابراهيم شريف،

١٩٦٥، ص ٥)، **وأصبح مطمعا للدول الاستعمارية، وحلبة الصراع والاحتدام الإقليمي على مر العصور، الأمر الذي انعكس على سكان المنطقة في عدم قدرتهم على النهوض سياسيا و اقتصاديا** (حامد عبد الله، ١٩٨٠، ص ٣٣).

وتبلورت أفكار ونظريات جغرافية و جيوبولتيكية عديدة تفسر أهمية المواقع والاقاليم الاستراتيجية، حيث كان لإقليم كردستان نصيب كبير، و فيما يلي دراسة لموقع إقليم كردستان بالنسبة لأهم النظريات و الآراء:

١- يقع إقليم كردستان العراق ضمن المنطقة المعتدلة الشمالية، وهو بهذا الموقع يقع ضمن المناطق الجيدة للممارسة الحياة ومزاولة الأنشطة الاقتصادية حسب رأى العالم (جون كيفر)، عندما بحث المواقع المناسبة و ملائمتها للأنشطة الإنسانية.

٢- يقع إقليم كردستان ضمن منطقة المجال الحيوي Living Space الألمانية، الذي كان يحدد حدود الإمبراطورية الألمانية، حيث كان يشمل مناطق عديدة يضمنها إقليم كردستان العراق (جزا توفيق، ١٩٩٧، ص ١٠٠).

٣- يقع إقليم كردستان ضمن منطقة الهلال الداخلي حسب نظرية القلب (Heart Land) للعالم السير هالفورد. ج. ماكندر، حيث اعتبر أن العالم القديم عبارة عن قارة واحدة ذات ثلاثة أقسام متلاصقة وأطلق عليها اسم (الجزيرة العالمية)، ووضع ماكندر بين قلب الأرض والهلال الخارجي نطاقا وسيطا يغلف القلب اسماه (الهلال الداخلي) (Halford, J. Mackinder, 1904, P.444) .

اهتم ماكندر كثيرا بمنطقة الهلال الداخلي و قال في هذا السياق (ان الهدف الرئيسي لبلدان قلب الأرض هو السيطرة على منطقة الهلال الداخلي، و إذا تمت هذه العملية فأنها تشكل خطرا كبيرا على البلدان الساحلية)، لذا دعا البلدان الساحلية الى عدم الرضوخ إلى هذه الفكرة و السيطرة على منطقة الهلال الداخلي و أكد على حفظ التوازن بين الأقاليم الساحلية و بين القوى الداخلية (Morton, 1976, P.272).

٤- وحسب نظرية (ريملاند) Rimland الأطراف السبايكمان، الذي يهتم كثيرا بمنطقة (الهلال الداخلي) و يقيم كثيرا موقعها ويفضلها على منطقة القلب باعتبارها منطقة تستطيع المواجهة والوقوف ضد منطقة القلب، و يقع إقليم كردستان جغرافيا ضمن منطقة (الهلال الداخلي)، الهلال الذي تستطيع حسب رأي سبايكمان ان تحد من نفوذ منطقة القلب (Nicholas, 1944, P.43)**.**

٥- ووفقا لنظرية القوة الجوية، التي وضعها الكسندر دي سفرسكى Deseversky للسيطرة على العالم وفق توجهات جيوبولتيكية جديدة في ضوء تطور القوات الجوية، و توصل الى نتيجة مفادها أن المناطق التي يتداخل فيها Overlap نفوذ السيادة الجوية لكل من الولايات المتحدة و الاتحاد السوفيتي السابق هي التي تحدد مصير السيطرة على العالم.

أي أن من يتحكم في هذه المناطق التي يتداخل فيها النفوذ الجوي (منطقة المصير) للعملاقين هو الذي سيسيطر على العالم، وإقليم كردستان العراق يقع ضمن منطقة المصير منطقة النفوذ أي المنطقة التي تتصارع فيها القوى العظمى في عصر الطيران والفضاء.

٦- حسب نظرية الجغرافي السياسي المشهور كوهين Cohen، الذي حدد نوعين من الأقاليم السياسية في العالم هما: الأقاليم ذات الامتداد العالمي (الجيو استراتيجية)، والأقاليم ذات الامتداد الإقليمي الجيوبولتيكي، و أضاف بأنه يوجد في الوقت الحاضر إقليمان جيو استراتيجيان هما العالم البحري و العالم القاري الأوراسي و ينحصر بين هذين الإقليمين الجيو استراتيجيين نطاقان للتصادم و الارتطام هما الشرق الأوسط الذي يعد إقليم كردستان العراق أحد أقاليمه وجنوب شرق آسيا (Cohbel, 1986, P.61)**.**

ومع مرور الزمن و اكتشاف البترول في المنطقة بكميات كبيرة ازدادت الأهمية الستراتيجية لموقع إقليم كوردستان حيث اصبح ضمن نطاق يعرف ب (قوس الأزمة ARC of crisis) وهو مفهوم صاغه قبل نهاية عام ١٩٧٨ بريجنسكي مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق (كارتر) لشؤون الأمن القومي، حيث يمتد القوس من الهند مرورا بأفغانستان وإيران وإقليم كردستان حتى القرن الأفريقي، وهي مناطق ذات أهمية حيوية بالنسبة لنا (أي الولايات المتحدة)، مهددة بالتفتت وان الفوضى الناضجة يمكنها تماما أن تملأ بعناصر معادية لقيمنا ومتعاطفة مع أعدائنا على حد قول بريجنسكي (هاليداي فرد، ١٩٨٢، ص ٣١)**.**

٤- المساحة:

تبلغ المساحة الإجمالية لإقليم كردستان العراق نحو ٣٨٠٧ألف كم٢، تمثل نحو ٩% من المساحة البرية للعراق، وهي موزعة على محافظات الإقليم الثلاث كما يتضح من الجدول (٢) والشكل (٢) بواقع ٤٤%لمحافظة السليمانية، و٣٩% لمحافظة أربيل، و١٧% لمحافظة دهوك، وهي مساحة تقارب مساحة وادي النيل ودلتاه في مصر،

وتفوق مساحة دولة غينيا بيساو (٣٦,١ألف كم ٢) وبلجيكا (٣٠,٥ ألف كم ٢)و أكبر من ضعف مساحة الكويت (١٧,٨ألف كم ٢) وثلاثة أمثال مساحة قطر (١١,٤ ألف كم ٢) وأربعة أمثال مساحة قبرص (٩,٣ألف كم ٢)، وهذه المساحة رغم صغرها غير أنها ليست عقبة في سبيل تحول الإقليم لدولة. ولا يتجاوز العمق الدفاعي النظري للإقليم ١١١كم، وهو عمق دفاعي محدود نظرا لضيق اتساع الإقليم.

جدول(٢) مساحة محافظات إقليم كردستان العراق.

المحافظة	المساحة كم٢(١)	% من مساحة الإقليم
السليمانية	17023	44.0
اربيل	15074	39.0
دهوك	6553	17.0
الإجمالي	38650	100
إجمالي العراق بريا	434128	–

المصدر:١-وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات:المجموعة الإحصائية السنوية،٢٠٠٤،بغداد،ص ٦.
-اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، صندوق الأمم المتحدة للسكان:حالة سكان العراق ٢٠١٠، ٢٠١١، بغداد، ص٢٠. والنسب من حساب الباحث.

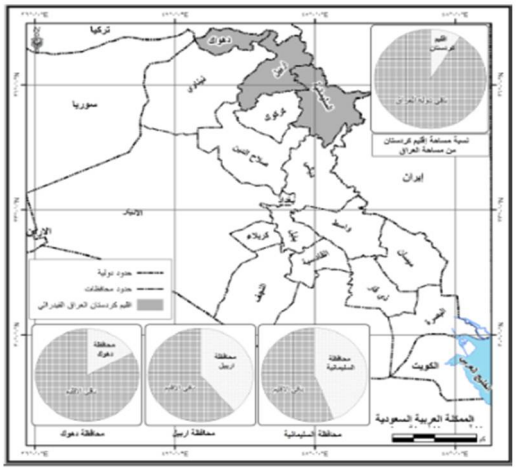

شكل (٢) مساحة محافظات الاقليم الكردي شمال العراق

وتعد المساحة من المعايير المهمة لقياس قوة الدول و الأقاليم السياسية، فكلما كانت المساحة واسعة فان هذا يعني تنوع في الموارد الاقتصادية، كما انها تسمح باستيعاب عددا اكبر من السكان، و في نفس الوقت تهيئ المساحة الكبيرة الفرص و الإمكانيات للإنتاج المتنوع، مما يكفل بدوره توازنا افضل في النمو الاقتصادي والسياسي للدولة او الإقليم (امين محمود، ١٩٧٧، ص ٤٥)**.**

تعتبر مساحة الاقليم ضمن المناطق ذات المساحات الصغيرة حسب تصنيفي (دبليه و فالكنبرك) (محمد ازهر، ١٩٨٨، ص ١٠١) **اذا اخذنا عامل المساحة فقط بنظر الاعتبار، ولكن في الميزان الجيوبولتيكي يتم تعامل المساحة مع العناصر الجيوبولتيكية الأخرى كالسكان و الموارد و غيرها.**

اما في حالة الحرب و الأزمات فان للمساحة فوائد استراتيجية و خاصة فيما يتعلق بنظرية الدفاع في العمق حيث استفاد الكورد من العمق الكوردستاني في الدفاع وشن حرب العصابات في مناطق گرميان و في المناطق الجبلية المضرسة، خلال النضال المسلح.

ولابد من الإشارة إلى أن معظم أراضي الإقليم صالحة الاستيطان السكان و ممارسة الأنشطة البشرية في ظل ملاءمة المناخ و توفر المصادر المائية وتنوعها و هذا بحد ذاته قوة جذب للتوطن والاستقرار و بالتالي تسهم في تعزيز اهمية الاقليم الجيوبولتيكية.

٥- الشكل:

يعد الشكل أحد المكونات المورفولوجية للدولة التي تؤثر على أدائها لوظائفها وعلى سلوكها السياسي، و يرى البعض أن الأثر السياسي لشكل الدولة و الأقاليم اقل اهمية من أثر المساحة او الموقع

ويعتبر الشكل بمفرده عامل قليل الأهمية في النواحي السياسية لكن الشكل مع غيره من العوامل الأخرى يعد أحد الاعتبارات الهامة التي تؤثر في الجغرافية السياسية للدولة (محمد محمود الديب، ٢٠٠٢، ص ٢٦٦) **ويرتبط الشكل كثيرا بالنواحي العسكرية والسياسية والإدارة الداخلية.**

يتخذ الإقليم شكلا يغلب عليه الاستطالة، ومحور امتداده العام من الجنوب الشرقي صوب الشمال الغربي، ويصل طول هذا المحور من الحدود مع إيران إلى النقطة الحدودية المثلثية بين العراق وتركيا وسوريا نحو ٤٢٤ كم داخل الإقليم، ونحو ٣٩٤ كم إذا امتد الخط على استقامته ليعبر خارج الإقليم، كما يتضح من الشكل (٣)، بينما يتراوح الامتداد العرضي للإقليم بين ٢٢٢كم في أقصى اتساع له بمحافظة أربيل ، ونحو ٢٠كم في أدنى اتساع له بمحافظة دهوك ، وعليه يعد العمق الدفاعي الفعلي للإقليم في بعض المناطق محدود للغاية، ويسهل اختراقه وتمزيق أوصال الإقليم حال تعرضه لهجوم خارجي، وان كانت الطبيعة الجبلية لسطح الإقليم قد خففت من حدة ذلك الخلل (ماهر عيش، ٢٠١٢، ص ١٥)**.**

وان الافتقار إلى الاندماج ذو مغزي سياسي و له أبعاد في زيادة التباينات بين المجموعات البشرية و هذا ناجم عن المشكلات في طرق المواصلات والاتصال، كما انه يعاني من مشكلات سياسية و تقسيمات إدارية (Norman J.G., 1963, P.53)**، و ينبغي القول أيضا انه كان لشكل الوحدات السياسية دور كبير وفقا الموازين الدفاع في الماضي وما قبله و في إطار الحروب البرية التي كانت تعتمد بطبيعة الحال على شكل الدولة إلى حد بعيد، الأمر الذي لم يعد له نفس المعنى تحت ظلال الحروب النووية و تقدم تكنولوجيا السلاح.**

والإقليم أبعد ما يكون عن الشكل الدائري المثالي، الذي يعد الأفضل في السلم والحرب، الأمر الذي أدى إلى جعل حدود الإقليم الفعلية (١٧٤٥ كم) تمثل نحو ٢٥١% من حدوده النظرية (٧٩٧كم) لو كان شكله هو الشكل الدائري، مما يحمل الإقليم أعباء دفاعية إضافية جراء الانحراف عن الشكل الدائري.

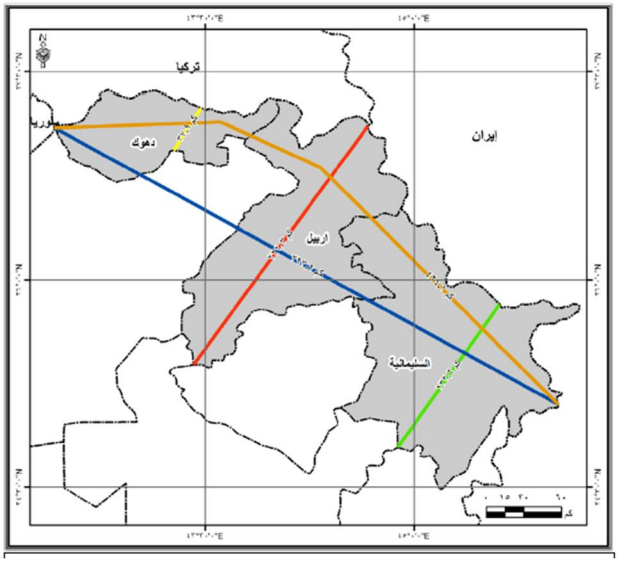

شكل (٣) شكل اقليم كردستان العراق

٦- البنية الجيولوجية:

تعتمد دراسة البنية الجيولوجية على أنواع من الصخور لها أثر في تكوين المعادن، وعلى توزيعها الجغرافي، وبالتالي فان تنوع التركيب الصخري في الأقاليم يؤدي الى تنوع التربة المشتقة من تلك الصخور.

ان التاريخ الجيولوجي لإقليم كوردستان مرتبط ارتباطا وثيقا بالصفيحة العربية Arabian plate من جهة وبالصفيحة الإيرانية من

جهة أخرى حيث كانت جزءا من المنطقة العميقة من بحر تشس القديم الذي كان يفصل هذه الكتل الثلاث عن بعضها البعض قبل اصطدامها وتكونت سلسلة جبال زاجروس و طوروس التي تشكل جزءا من الحزام الألبي الملتوي و التي تكونت في أواخر عهد البلايوسين.

تتميز صخور قاع بحر تشس بقلة صلابتها، وقد تجمعت عليها رواسب كبيرة وسميكة من تكوينات جيرية وطباشيرية، هذا بالإضافة الى أن مياه البحر كانت غنية بالأحياء، وقد تكونت تلك الرسوبيات خلال العصور الجيولوجية المختلفة و التي تعود إلى الأزمنة الأول و الثاني و الثالث، و تتباين في سمكها ومكوناتها تبعا للظروف التي أدت إلى إرسابها و كذلك للظروف التي تعرضت لها وأدت إلى تشكيلها (محمود طه، ١٩٧٢، ص ٢٥).

وقد تعرضت هذه التكوينات الرسوبية الى حركات أرضية عنيفة خلال النصف الثاني من الزمن الثالث و أوائل الزمن الرابع، أي منذ عصر الميوسين وحتى عصر البلايستوسين، أدت إلى حدوث التواءات (مقعرة و محدبة)، و انكسارات نتج عن ذلك تكوين سلاسل جبلية متباينة في الارتفاعات.

إن أهمية البناء الجيولوجي للإقليم يكمن في اشتماله على عدد من التكوينات الصخرية ذات العلاقة الخاصة بالنشاط الاقتصادي و البشري مثل ارتباط المعادن بأنواع معينة من الصخور، فالصخور الكلسية للإقليم غنية بمعادن متنوعة كالبترول و الأملاح و الجبس (Fisher, 1965, P.19).

إن وقوع الإقليم ضمن الجزء العميق من بحر تشس و لمدة اكثر من ٢٠٠ مليون سنة أدى إلى ترسيب طبقات جيولوجية ذات تكاوين

مختلفة وبسمك كبير و بظروف مناسبة لتكون إنتاج النفط (سهل السنوي، ١٩٧٩، ص ٨٢)، **و التي تسمى بصخور المصدر او صخور الام (Source Rocks) كصخور الطفل والمارل وبعض هذه الطبقات الجيولوجية متمثلة بطبقات تكوين البالمبو و الشرانش و كولوس وصخور اخرى تعد صخور، خازنة للنفط.**

بالإضافة إلى ترسيب طبقات صماء غير نافذة (imperineable) تمتاز بصلابتها وعدم قدرة السوائل و الغازات على النفاذ فيها (فاروق صنع الله، ١٩٧٧، ص ٣٨)، **مثل صخور الملح والمارل و بعض من الصخور الجيرية متمثلة بطبقات الملح في تكوين الفارس الأسفل و التي تمثل صخور الغطاء لمعظم التجمعات النفطية في إقليم كوردستان، انظر خارطة رقم (٦).**

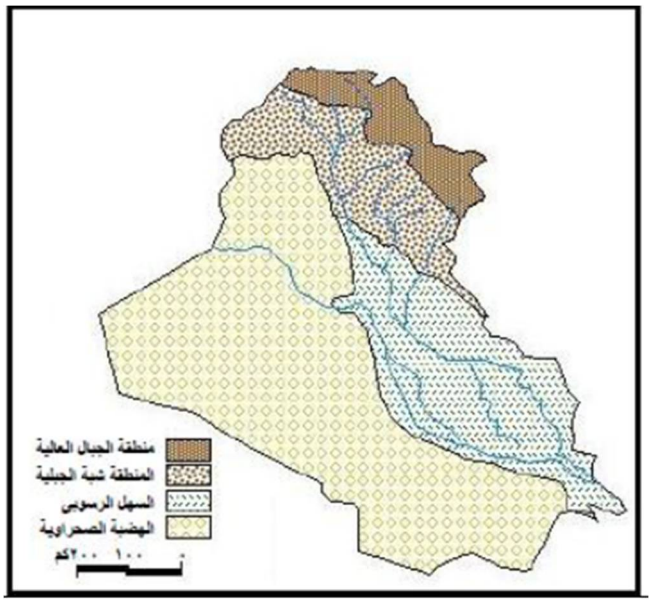

شكل (٤) الاقاليم المورفولوجية في العراق

ومن المعلوم أن معظم التراكيب الملتوية في الإقليم تكونت عندما حدثت حركة الألب الثانية للجبال و التي أدت الى تجمع النفط في هذه المنطقة و التي تسمى بالمصائد النفطية Oil Traps و أهمها القباب و الطيات المحدبة و القوالب و كل هذه العناصر متوافرة في إقليم كوردستان وخاصة في منطقة اقدام الجبال، كمناطق كركوك و اربيل وبطمة وعين زالة، و من اهم هذه الحقول:

ا-حقل عين زالة، وهو على هيئة طية محدبة بسيطة التراكيب تمتد الى مسافة ٢٠كم و بعرض ٤ كم وتعتبر طبقات التكوين الجيري وطبقات الفارس الاسفل الصخور الخازنة للنفط فيها.

٢-حقل بطمة، تعتبر امتدادا لحقل عين زالة و تشير معظم الدراسات إلى أن النفط في كلا الحقلين من مصدر واحد حيث لا يفصل هذا الحقل سوى ٥ كم من حقل عين زالة.

٣-حقل كركوك، ويعد من الحقول العملاقة في العالم ويتكون من طية واحدة تمتد إلى مسافة ١١٠ كم باتجاه شمال غرب جنوب شرق وبعرض ٥ كم وتقسم هذه الطبية الى ثلاث قباب وهي قبة بابا وقبة اقانة وقبة وفرمالة وتعتبر تكوينات اقانة ومجموعة تكوينات كركوك من الصخور الخازنة و طبقات المسلح التابعة لتكوين الفارس الأسفل صخور الغطاء لهذه التراكيب.

٤-حقل باي حسن، يقع هذا الحقل على بعد وكم الى الجنوب الغربي من حقل كركوك و هو على هيئة طية محدبة يحوي على كميات كبيرة من النفط في طبقات مجموعة كركوك و اقانة و طبقات الملح التابع للفارس الأسفل صخور الغطاء.

٥- حقل جمبور، يقع هذا الحقل على مسافة ٦٠كم الى الجنوب الشرقي من مدينة كركوك وهو على هيئة محدبة و يتجمع النفط في نفس طبقات حقل كركوك.

وهناك حقول للنفط غير مكتشفة في الإقليم تخضع للدراسات الجيولوجية التفصيلية مثل حقل شيواشوك وحقل ضيا سورخ و حقل مخمور وحقل اربيل وإذا توفرت الفرص لأجراء مسوحات اخرى سيتم الكشف عن حقول جديدة أخرى.

بالإضافة إلى تجمع النفط في التكاوين الجيولوجية في الإقليم نجد هناك كميات كبيرة من الموارد المعدنية و ترسبات فلزية مهمة منها ترسبات الكبريت التي تعتبر من أنقى أنواع الكبريت وهو كبريت متداخل مع طبقات أحجار الكلس في الأعماق البعيدة، كذلك ترسبات الأطيان الصناعية المهمة كطين البنتونايت في منطقة قرة تبة وزرلوك في كركوك (عبد الهادي الصائغ، ١٩٧١، ص ١٢٤).

كذلك نجد الرخام (المرمر) وهو رخام حقيقي في مقالع طلالة ورايات و بنجوين و صخور صلبة (دولمايت) في مناطق دربنديخان ورانية وقلعة دزة يتم صقلها لانتاج الرخام، بالإضافة الى الصخور الكلسية الملائمة لانتاج السمنت المستخدم لأغراض البناء و كميات هائلة من الرمل و الحصى في التكوينات البختيارية.

كذلك نجد في الإقليم ترسبات جيولوجية للمعادن الفلزية كترسبات الحديد في منطقة (اسناوه) في بنجوين و ترسبات الرصاص والزنك في مناطق مختلفة من الإقليم.

كذلك يكتسب التكوين الجيولوجي للاقليم أهمية أخرى في مجال نظام المياه، حيث يتكون قسم كبير من تكوينات الإقليم من تكوينات

كلسية، لها أهمية خاصة في مجال طبيعتها النفاذة فهي تمتص مياه الأمطار ثم تعيدها إلى السطح على شكل عيون و ينابيع، لذلك فان وجود هذه الصخور تتحكم إلى درجة كبيرة في أنماط و توزيع المستوطنات البشرية.

نستطيع القول أن للتكوين الجيولوجي اثره الكبير على غني وفقر الاقاليم السياسية من حيث احتوائها على الموارد المعدنية المتنوعة، والتي بدورها أيضا تؤثر على قوة الأقاليم السياسية، حيث تعتبر الموارد و الثروات الطبيعية عنصرا مهما من عناصر قوة الدولة والأقاليم لأنها تمكنها من بناء قاعدة اقتصادية قوية، وتمكنها من بناء جيش قوي، مما ينعكس على تغير امنها واستقرارها، فهي جزء من القدرات التي تعتمد عليها الدولة في بناء هيبتها، ومن المعادن ما هو أساسي وجوهري لقوة الدولة والأقاليم السياسية وصناعتها و وزنها الجيوبولتيكي مثل النفط وغيره ، وبذلك فان الموارد الطبيعية يمكن أن تساعد الدولة في بناء قوتها إذا تكاملت مع المقومات الجغرافية الأخرى.

٧- مظاهر السطح:

على الرغم من أن الدراسة المفصلة للتضاريس، بما في ذلك سبب تكوينها، تقع خارج نطاق الجغرافية السياسية، الا أن معرفة مؤشراتها تكون عاملا مساعدة في هذا الحقل لفهم العلاقات الداخلية ضمن الدولة ذاتها.

ان الخصائص الطبيعية لسطح الأرض، لها انعكاساتها على قوة الدولة ووزنها السياسي، كما انها تؤثر في طبيعة النظام الداخلي للدولة وتماسكها القومي الى حد كبير، فالمسطحات المائية مثلا تساعد

على عدم تماسك أجزاء القطر مع بعضها، في حين نجد الجبال تؤثر في توزيع السكان، وتعرقل المواصلات، وتؤثر أيضا في الانسجام السياسي الداخلي للدولة، وقد تكون سبب مناعتها عاملا مشجعا للحركات الانعزالية في بعض الأحيان، كما أن الجبال تشكل الحماية للدولة ، وتمنحها مواقع حصينة عسكريا يتمكن المقاتلون من الدفاع من خلالها.

وعند دراستنا للتضاريس الطبيعية في إقليم كردستان نجد أنها تنقسم الى المناطق التضاريسية الآتية:

أ- منطقة الجبال الالتوائية المعقدة:

تشغل هذه المنطقة أقصى الشمال والشمال الشرقي للمنطقة الجبلية ، وتتكون من الصخور النارية فضلا عن أنواع أخرى من الصخور الأقل صلابة، ويبلغ متوسط ارتفاع جبال هذه المنطقة نحو ٢٧٠٠م فوق مستوى سطح البحر ، وقد أثرت تلك الارتفاعات على المناخ السائد بحيث جعلته أغزر مطرا (سفين فتح الله،٢٠٠٨، ص٣).

ان انتشار السلاسل الجبلية المعقدة في أرجاء واسعة للإقليم ترتب عنها عوامل عديدة ذات بعد سياسي وجيوبولتيكي، فمثلا أدى التعقد الطوبوغرافي و صعوبة الاتصال منذ القدم الى ظهور تعدد اللهجات الكردية ضمن الاقليم الواحد، كاللهجة السورانية والبهدينانية والهورامية وغيرها، و لكن و في نفس الوقت حافظت الطبيعة الطوبوغرافية المعقدة على أصالة اللغة الكردية، من تأثير اللغات الأجنبية.

كما ان وضع الطوبوغرافيا المذكور ساهم في محافظة الشعب الكردي على اصالته القومية و ساند نضاله الدؤوب، و كان بمثابة

المأوى و الملاذ الأمين الذي كان يلجأ اليه الكرد في الظروف الصعبة، فكان المساند الرئيسي لمعظم الثورات والانتفاضات الكردية، منذ ثورة الشيخ محمود الحفيد.

وهذا ما دفع عدد من الكتاب الاجانب ان يعبروا صراحة ان "ليس للكرد أصدقاء سواء الجبال"، ان مضمون هذه العبارة تحتوي على الكثير من المضامين السياسية و الامنية في آن واحد باعتبار الكرد شعبا غير مساند من قبل أي دولة، وأن جبالها فقط هي الحصن القوي والمنيع في الدفاع عنه.

إن العلاقة الجدلية بين الكرد و الجبل تتجلى حتى في عصر العولمة و المعلوماتية، فبعد انتفاضة سنة ١٩٩١ زحف حوالي ثلاثة ملايين من سكان إقليم كردستان نحو المناطق الجبلية للاحتماء بها والاستعداد لبدء الثورة و الكفاح المسلح من جديد، كذلك هرع الكثير من السكان الى المناطق الجبلية النائية أثناء عملية تحرير العراق خوفا من القصف الصاروخي واستخدام الأسلحة المحرمة دوليا ضد سكان المدن و المناطق الكردية.

ان الخط الحدود الشمالي مع تركيا يمر عبر المنطقة الجبلية المعقدة وتمتد من اقصى الشمال الشرقي من الإقليم حتى منطقة العمادية او بسيطة الالتواء (Simple foled zone) لا يتجاوز ارتفاعها ١٠٠٠م واتخذت اتجاهات واضحة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وتتخلل منطقة الحدود الإقليم مع تركيا مجموعة من الأودية والأحواض التي هي عبارة عن سهول وهضاب تتخذ الاتجاهات التي تتخذها التواءات المنطقة الجبلية نفسها، أي أنها تمتد من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، وتكثر فيها الانكسارات كلما اتجهنا نحو الشمال الشرقي.

اما الجهات الشرقية من المنطقة الجبلية، فهي عبارة عن منطقة معقدة و صعبة الاجتياز، بسبب الممرات و الثغرات، المتكونة بسبب الانكسارات في جهات عديدة، (مثل ممر حلبجة في القسم الجنوبي من جبال هورامان وممر بينجوين و ممر وزنة في جبال قنديل مكونا رافد نهر الزاب الصغير، وممر رايات الذي يعبر سلسلة جبال قنديل ليتصل بسهل لاهيجان في الطرف الإيراني) (خالد الغري، ١٩٨١، ص ٤٤).

وتشكل المنطقة الجبلية خط الحدود (الإقليم مع تركيا) فاصلا بينا مجموعات القبائل الكردية و الجماعات الاثورية فيضم جزءا منها في العراق وجزء أخر في تركيا، أي أن المنطقة الجبلية هي بمثابة عامل فصل للشعب الكردي بسبب العوامل التاريخية و السياسية.

وقد لعب العامل التضاريسي دورا كبيرا في تركيز المجموعات السلالية في جهات معينة في الإقليم، فاستأثرت المجموعة الكوردية باستيطان منطقة الجبال واحتفظت بمميزاتها الاثنولوجية و الاثنوغرافية عبر الاف السنين محتمية بوعورة الجبال، بينما استأثرت المجموعة العربية بالجهات المنبسطة التي تكون امتدادا طبيعيا لصحراء جزيرة العرب و خلقت الجماعة السريانية لنفسها جيوبا في المنطقة الجبلية واحتمت بها ما أمكنها ذلك، أما الجماعة التركمانية فهي تمتد على هيئة خط مائل يفصل بين الجهات الجبلية و الجهات السهلية على امتداد خط التجارة الرئيسية بين الجنوب الشرقي والشمال الغربي (جودة حسنين، على احمد، ١٩٨٤، ٥٩٨).

ونجد نفس الحالة في المنطقة الحدودية بين الإقليم و إيران، حيث تعكس الحدود بين إيران و العراق منذ فترة طويلة طبيعة العلاقات السياسية غير المستقرة (بهاء بدري، ١٩٨٩، ص ٣٩)، **لان الحدود تضم مجموعات ذات ثقافات مختلفة تمتد بين البلدين و منها الشعب**

الكردي الذي يعيش بين جانبي الحدود و تفصل بينهما الحدود السياسية (Christine, 1984, P.40)**.**

ان الطبيعة الجبلية المعقدة هذه جعلت من المنطقة قلعة يصعب اقتحامها (ويتطلب استحضارات واسعة، وقد ثبتت صحة هذه الحقيقة أبان الحملات العسكرية الموجهة من الدولتين (العراق و تركيا) ضد قوات البيشمركة)، الذين اتخذوا من المنطقة الجبلية قواعد لتحركهم تجاه الدولتين، لذا فان هذه المنطقة بأجمعها لا تساعد على القيام بتحركات واسعة باستثناء عمليات الدفاع فقط (سليمان الدركزلي، ١٩٥٦، ص ٣٤٨)**.**

وتؤثر العوارض الطبيعية الجغرافية تأثيرا بالغا في سير الحركات الحربية في إقليم كوردستان ولانها ذات صفة جبلية وقليلة الطرق وكثيرة المضايق والوديان فأنها تصلح للدفاع وتعرقل سير الهجوم.

كما وان التضاريس المعقدة تساعد على اجراء الحركات التراجعية و ذلك من خلال استغلال العوارض الطبيعية لحماية الأجنحة ومحاولة تعطيل العدو الهجومية، كذلك تفرض التضاريس المعقدة تأثيراتها على المواقف الهجومية، حيث أن الهجوم في المناطق المتعرجة بوفر افضل نقاط للمراقبة، كما يساعد على اختيار الأهداف.

ويلاحظ منذ الفترات التاريخية السابقة، أن أغلب الأقاليم و الدول تبدا حياتها في جهات محمية، حيث أن الأرض السهلية لا تعطي الدولة في بداية تكوينها الحماية الكافية، لذلك فان مثل هذه الدول و الأقاليم تفضل ان تنشأ في المناطق الجبلية حيث تقضي الدولة مرحلة النشوء و التكوين، و في مرحلة الشباب تخرج من مركزها الجبلي (محمد متولي، ١٩٥٨، ص ٣٥)**.**

وتمتلك المنطقة الجبلية أهمية جيوستراتيجية كبيرة وهامة منذ العصور القديمة و الوسطى و احتفظت بأهميتها إلى الوقت الحاضر، وذلك بسبب أهمية موقعها و طبيعة إمداداتها و ارتفاعاتها، حيث تمتاز بإمكانات اقتصادية وبشرية و عسكرية، حيث يصعب المرور و حركة الموصلات فيها، و يندر وجود الطرق و الممرات التي يسهل اجتيازها وخاصة في الجزء الشمالي الشرقي، بسبب الوعورة و الارتفاع، كل هذه المميزات أعطت المنطقة بعدا جيوبولوتيكيا على مر العصور.

ب- منطقة السهول:

تقع هذه المنطقة جنوب وجنوب شرق منطقة الجبال الالتوائية المعقدة، ويتراوح ارتفاعها ما بين ٤٠٠ – ٦٠٠ متر. وتعد هذه السهول من أهم المناطق الزراعية والاستيطانية، وتكتسب بعض المدن في هذه المنطقة كالسليمانية ورانية وزاخو أهمية استراتيجية كبيرة لأنها تمثل عقد نقليه ليس فقط داخل المنطقة وإنما مع دولتي الجوار تركيا وإيران (سفين فتح الله ، ٢٠٠٨،ص ٣).

يتضح من خلال دراسة سهول المنطقة شبه الجبلية، إنها تشكل مخزونا عظيما للمياه الجوفية في الإقليم بسبب تركيبتها الجيولوجية، و تشكل أهم المناطق لزراعة القمح و الشعير و هي بمثابة (سلة خبز) للإقليم و العراق معا و تؤثر بالتالي على الاقتصاد الزراعي و تحقق الأمن الغذائي لهما خاصة، ما يتعلق بالغذاء اليومي، وهي بمثابة نقاط قوة جيوبولتيكية لاقليم كردستان.

ونظرا لوفرة الإنتاج الزراعي و خاصة (الشعير) في المنطقة مقترنا بوجود الحشائش القصيرة في فصل الربيع، فان تلك السهول

بمثابة المنبع الرئيسي لتربية الحيوانات في منطقة الدراسة، حيث تسول أسواق الاقليم باللحوم و المنتوجات الحيوانية الأخرى.

وتحتوي تلك السهول و المناطق المتاخمة لها على مخازن البترول الكبيرة، حيث تشكل المخزون الاستراتيجي للبترول في الإقليم و العراق، مثل مناطق مخسور و كركوك و عين زالة وغيرها، بما يجعل تلك السهول ضمن المواقع الاستراتيجية في الإقليم وتشكل منبعا للموارد المعدنية و الزراعية في آن واحد، ترفد الإقليم بالموارد الاقتصادية المهمة وبالتالي تعزز من قوتها السياسية و الجيوبولتيكية، من خلال الاعتماد على الذات و بالتالي توفر الكثير من العملات الصعبة للتنمية الاقتصادية و الاجتماعية في الاقليم.

ج- منطقة الجبال الالتوائية البسيطة:

تتميز هذه المنطقة بأنها أقل ارتفاعا من منطقة الجبال الالتوائية المعقدة، فهي أقل تأثرا بالحركات الأرضية ، ويبلغ متوسط ارتفاعاتها بين ألف إلى ألفي متر فوق مستوى سطح البحر .وتحصر الالتواءات المحدبة في المنطقة المعقدة والبسيطة عددا من الهضاب مثل هضبة بينجوين وبرزنجه وجوارتا و كوانده في دهوك.

وتقع أجزاء محدودة من الإقليم الكردي ضمن الإقليم شبه الجبلي، الذي يمثل منطقة انتقالية بين الجبال العالية والسهل الرسوبي، وتخترق هذه المنطقة أربعة من روافد نهر دجلة هي الزاب الكبير والزاب الصغير وديالى والعظيم. كما تضم المنطقة عددا من السهول الخصبة، كما تضم مراعي طبيعية جيدة، وقد أصبحت هذه المنطقة عقدة نقليه مهمة في حركة النقل ما بين المنطقة الجبلية والسهل

الرسوبي، مما ساعد على قيام مراكز حضرية كبيرة بها كأربيل (سفين فتح الله، ٢٠٠٨، ص ٤).

٨- المناخ:

ينتمي معظم إقليم كردستان العراق مناخيا لإقليم مناخ البحر المتوسط في أجزائه الشمالية، كما يتضح من الشكل (٥)، والذي يتصف ببرودته شتاء واعتداله صيفا بينما تنتمي الأجزاء الجنوبية للإقليم شبه الجاف، وتتباين الأمطار في الإقليم بين ٢٠٠: ١٢٠٠ ملم في أقصى الشمال الشرقي، وتتناقص تدريجيا بالابتعاد عن الجبال العالية نتيجة لعامل التضاريس (مهدي العلاق، ٢٠١١،ص٧).

شكل (٥) الاقاليم المناخية في العراق واقليم كردستان

يتسم مناخ الإقليم بكثير من الصفات الإيجابية الجغرافية التي تؤهله ان يلعب اهمية جيوبولتيكية و سياسية في أن واحد، حيث يتسم بغزارة أمطاره و ثلوجه الكثيرة من المناطق الجبلية في الإقليم، وهذا

بدوره بغني الإقليم بالمصادر المائية السطحية و الجوفية و يعطيه وزنا هيدروبولتكية على الصعيدين المحلي و الإقليمي.

إن طبيعة الظروف المناخية الملائمة تزيد من الطاقة الإنتاجية للإقليم مقارنة بالمناخ السائد في بقية مناطق العراق الأخرى، حيث تتمكن الدولة من توفير الغذاء للسكان بقدر كاف و متوازن وهو من أهم الأهداف الأساسية للتنظيم الداخلي للدولة.

إن الإنتاج الزراعي لأية دولة يقع تحت تأثير العوامل المناخية المختلفة حيث ان تنوع المناخ ينعكس على التنوع الإنتاج الزراعي والحيواني، الأمر الذي يساعد الدولة للوصول الى مرحلة الاكتفاء الذاتي، فالأحوال المناخية الملائمة تزيد من الطاقة الإنتاجية (حسن عبد القادر، ١٩٧٦، ص ٢٢)، **وان وجود ثلاثة أقاليم مناخية في مساحة الإقليم رغم صغرها اذا قورنت بالمساحة الكلية للعراق يعتبر ميزه إيجابية وقوة جيوبولتكية تساعد على تنوع المحاصيل الزراعية و الحيوانية.**

كذلك اثر التنوع المناخي في الإقليم على ظهور انماط سياحية و ترفيهية مختلفة يمكن استثمارها اقتصاديا، مثل تركز معظم مصايف العراق ضمن اقليم كردستان، كذلك يمكن استثمار هذه المصايف شتاء كمناطق الجذب السياح و المسافرين لممارسة الألعاب الرياضية والتمتع بجبال الطبيعية الخلابة في المنطقة.

وهو بمجمله يساهم في تعزيز دور الاقليم سياسيا و يعمل على ايجاد مواقع مميزة له في المناطق المجاورة.

٩- موارد المياه:

أ- موارد المياه السطحية:

تمتد بالإقليم عدة روافد لنهر دجلة كما يتضح من الشكل (٦) هي:

- نهر الخابور: ينبع من مرتفعات جنوب شرق تركيا، ويدخل الإقليم عند قرية جالك ،ويلتقى برافده الهيزل قرب زاخو، ويلتقي بنهر دجلة شمال فيشخابور .

- نهر الزاب الكبير وينبع من مرتفعات هكاري التركية، ويدخل الإقليم عند قرية جال شمال العمادية، ويلتقي بدجلة جنوب نمرود على بعد ٤٩ كم جنوب الموصل .

- نهر الزاب الصغير: وينبع من إيران غرب مدينة مهاباد من الجهة الشمالية الشرقية من سلسلة جبال قنديل، ويدخل الإقليم بالقرب من قرية هزينه شرقي قلعة دزة .

- نهر العظيم: تتمثل منابعه في مرتفعات قره داغ و طاسلوجة و امتداداتها في محافظة السليمانية .

- نهر سيروان (ديالي): الذي ينبع من مرتفعات غرب إيران (مهدي العلاق، ٢٠١١، ص ١٠).

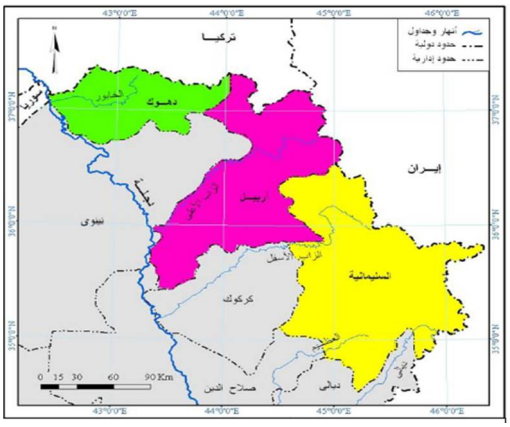

شكل (٦) اهم انهار كردستان العراق

ب- المياه الجوفية:

تعد المياه الجوفية أحد المصادر المهمة للمياه بإقليم والتي تستخرج عن طريق الينابيع والآبار الارتوازية، وتقدر كمية المياه الجوفية المتجددة في الإقليم بنحو ٢,٦ مليار م٣ سنويا (وزارة التخطيط، ٢٠١٤، ص٤٨).

إن توفر الموارد المائية الناتجة عن التساقط الأمطار و الثلوج يعتبر قوة وثروة اقتصادية فاعلة وأساسية تمثل إحدى دعائم الأمن الغذائي للسكان ومن ثم الأمن القومي للإقليم، و تعزز قدراته في الحماية و المقاومة.

وبالنسبة للمياه السطحية الجارية و خاصة نهر دجلة وروافده الرئيسة (الخابور والزاب الكبير والزاب الصغير والعظيم و سيروان) فهي تعتبر الشريان الرئيسي لوسط وجنوب العراق من حيث الاستفادة ومدى ارتباط سكان هذين الإقليمين بتلك الروافد حيث يبلغ طول نهر دجلة داخل الإقليم ١٠٠ كم، وتقع حوالي ٥٠٪ من مساحة حوض تغذية نهر دجلة داخل اقليم كردستان (صبرية أحمد، ١٩٩٦، ص ٧١)، **وهذا يعني ان نصف حوض نهر دجلة يقع ضمن الاقليم الذي يتحكم بموارد هذا النهر، وهو عامل جيوبولتيكي يعزز مكانه الإقليم السياسية.**

وبالنسبة للروافد الرئيسة لنهر دجلة نرى بان حوالي (٧٤) من احواضها تقع داخل الإقليم والبقية تقع خارجه، وخاصة لدول الجوار الجغرافي في كل من تركيا و ايران، وهذا يعني جيوبولتيكيا أن اراضي الإقليم تساهم بحوالي ٧٤٪ من حوض تغذية نهر دجلة وروافده

وبالتالي تهيئ للإقليم قوة سياسية تمكنه من التحكم بجزء كبير من الموارد المائية بالعراق.

وهنا يمكن القول أن عنصر المياه يمكن اعتماده بوجهين أحدهما: أنه يصبح عنصرة إيجابية في إقامة علاقات تعاون وصداقة بين الدول و الأقاليم المجاورة، فيما يمكن أن يكون عنصرا سلبيا لعلاقات تنازع و خلاف بين الأقاليم، وهذا يقرره المناخ العام للعلاقات بين الدول، اذ ان المياه كعنصر قائم بذاته لا يمكن أن تؤدي إلى حروب وصراعات، بل ان دورها في إثارة الحروب سيكون عاملا مضافا إلى مشكلات وعناصر اخرى تكمن وراء التوتر او الصراع على نحو يقترب من دور البترول و المصالح المرتبطة به (محمد جواد، ١٩٩٤، ص ٢٥٧).

المراجع

أولا: المراجع العربية:

١- ابراهيم شريف، الشرق الاوسط دراسة لاتجاه سياسة الاستعمار حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٠٨ في العراق، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، بغداد، ١٩٩٠.

٢- ادمونز، كورد، ترك، عرب، ترجمة جرجيس فتح الله، مطبعة التايمس، بغداد، ١٩٧١.

٣- امين محمود عبد الله، في أصول الجغرافية السياسية، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٧.

٤- بهاء بدري حسين، التعدد القومي و اثره في البنية السياسية لإيران (دراسة في الجغرافية السياسية)، اطروحة دكتوراه بجامعة بغداد، ١٩٨٩.

٥- جزا توفيق طالب، نظرية المجال الحيوي، مجلة گولان العربي، العدد (١٩)، مطبعة وزارة الثقافة، أربيل، ١٩٩٧.

٦- جودة حسنين جودة و علي احمد هادي، جغرافية الدول الاسلامية منشاة المعارف الاسلامية، الإسكندرية، ١٩٨٤.

٧- حامد عبد الله ربيع، البحر المتوسط و الاستراتيجيات الكبرى، حول سياسة عربية متوسطية، مجلة قضايا عربية، العدد (٤)، السنة ٧، ١٩٨٠.

٨- حسن عبد القادر صالح، المظهر الجغرافي لقوة الدولة، الجامعة الأردنية، جمعية عمال المطابع الأردنية التعاونية، ط١، ١٩٧٩.

٩- خالدة رشيد السعدون، تحليل العوامل التي ترسم خط الحدود بين العراق و ايران، رسالة ماجستير جامعة بغداد، غير منشورة، ١٩٧٠.

١٠- خليل اسماعيل محمد، اقليم كردستان العراق (دراسات في التكوين القومي للسكان)، اربيل، مطبعة كرستال، ١٩٩٨.

١١- دبيلو. ار، هي، سنتان في كردستان، ترجمة فؤاد جميل، ج ١، ط ١، مطبعة الجاحظ، بغداد، ١٩٧٣.

١٢- سفين جلال فتح الله: خصائص الموارد المائية في إقليم كوردستان العراق، ٢٠٠٨، الشبكة العنكبوتية.

١٣- سليمان الدركزلي، جغرافية العراق العسكرية، بغداد، مطبعة البرهان، ١٩٥٦.

١٤- سهل السنوي و اخرون، الجيولوجية العامة، جامعة بغداد، ١٩٧٩.

١٥- صبرية احمد الغريري، استثمار الموارد المائية السطحية في العراق واثرها في الأمن الوطني (دراسة في الجغرافية السياسية)، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب جامعة بغداد، غير منشورة، ١٩٩٩.

١٦- طه الهاشمي، جغرافية العراق الثانوية، بغداد، ١٩٣٨.

١٧- عبدالهادي الصائغ و د. فاروق صنع الله العمري، الجيولوجيا العامة، بغداد، ١٩٧١.

١٨- عمر احمد قدور، شكل الدولة و اثره في تنظيم مرفق الامن، مكتبة مدبولي، القاهرة.

١٩- غوردون هتد، الاسس الطبيعية لجغرافية العراق، ترجمة الدكتور جاسم محمد الخلف، بغداد، ١٩٤٨.

٢٠- فاروق صنع الله العمري وعلي صادق، جيولوجية شمال العراق، جامعة الموصل، ١٩٧٧.

٢١- فؤاد حمة خورشيد، الأكراد دراسة علمية موجزة، مطبعة دار الساعة، بغداد، ١٩٧١.

٢٢- ماهر حمدي عيش، اقليم كردستان العراق الفيدرالية والانفصال، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية، كلية الآداب، جامعة المنوفية، نوفمبر ٢٠١٤.

٢٣- محمد ازهر سعيد السماك، الجغرافية السياسية (أسس و تطبيقات)، مطبعة مديرية دار الكتب بجامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٨.

٢٤- محمد جواد على المبارك، اشر المياه في العلاقات بين الدول - دراسة في مكامن الصراع او التعاون بين دول المشرق العربي ودول الجوار الجغرافي، اطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية بجامعة بغداد، غير منشورة، ١٩٩٤.

٢٥- محمد عبد السلام، الجيوبوليتيكا، علم هندسة السياسة الخارجية للدول، مكتبة نور، القاهرة، ٢٠١٩

٢٦- ـــــــــــــ، التقويم الجغرسياسي للعوامل الطبيعية المؤثرة في قوة الدولة: دراسة تطبيقية في الجغرافيا السياسية، مجلة كلية الآداب، جامعة دمياط،٢٠١٣.

٢٧- ـــــــــــــ، الموقع الحبيس ومشكلاته الجيوبوليتيكية، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية واللغات، شعبة البحوث الجغرافية والاستشارات التخطيطية، كلية الآداب، جامعة المنوفية، إصدار خاص، يناير ٢٠١٩ .

٢٨- ـــــــــــــ، جيوبوليتيكية الارهاب في سيناء، مكتبة نور، القاهرة، ٢٠١٩.

٢٩- محمد محمود ابراهيم الديب، الجغرافية السياسية (منظور معاصر) مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢.

٣٠- محمد متولي، الجغرافية السياسية، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي، للأثار الشرقية، ١٩٨٨.

٣١- محمود توفيق، العراق دراسة في جغرافية الانهيار ، مجلة الإنسانيات ، مجلد ١٥ ، كلية الآداب بدمنهور ، ٢٠٠٣.

٣٢- ـــــــــــــ، الدولة في عالم بلا حدود- دراسة في الجغرافيا السياسية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠١١ .

٣٣- محمود طه ابو العلا، جغرافية شبه جزيرة العرب، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ج٢، ١٩٧٢.

٣٤- مريم فتاح عزيز، تحليل العوامل التي رسمت الحدود العراقية - التركية، رسالة ماجستير في الجغرافية، جامعة بغداد، غير منشورة، بغداد، ١٩٧٠.

٣٥- هاليداي فرد، السياسية السوفيتية في قوس الأزمة، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الابحاث العربية بيروت، ١٩٨٢.

ثانيا: المراجع الاجنبية:

1-Christine Moss Helams: Iraq Estern flank of the Arab world, washington. D.C. 1984.

2- Cohen, S.B., (The Contemporary Geopolitical Setting Aproposal for Globel Geopolitical Equilibrium) Infishere. C.A., ((Essays in political Geography)) Methoduen, London, 1986.

3-Fisher, W.B., The Middle East, London, 1965.

4- Halford, J. Mackinder, (The Geographical pivot of History), Geographic Journal, Vol. XXI, No. 4, April, 1904.

5-Major F. Millingin Wild life among the Koords, London, 1870.

6-Morton A. Koplan, The life and death of the cold war selected studie's in past war, state eraft, USA, 1976.

7-Nicholas J.spy kamn, (The Geography of Peace), Harcort Brace and co. Inc. Newyork, 1944.

8-Norman J.G. Pounds, political Geography, Mc Graw-Hill Book Co., New York, 1963

جيوبوليتيكية نقمة المكان

كردستان نموذجا

دراسة في الجغرافيا السياسية